



الجمهورية التركية
جامعة يالوفا
معهد الدراسات العليا

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

منهج التفسير الوعظي ونماذج عند قتادة السدوسي

رسالة الماجستير

أحمد إبراهيم

المشرف: أ. د. عون الله أنس آتش

يالوفا
ديسمبر 2024



الجمهورية التركية
جامعة يالوفا
معهد الدراسات العليا

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

منهج التفسير الوعظي ونماذجه عند قتادة السدوسي

رسالة الماجستير

أحمد إبراهيم
228122015

المشرف: المشرف: أ. د. عون الله أنس آتش

يالوفا
ديسمبر 2024

التعهد بالالتزام بالقواعد الأخلاقية العلمية

أتعهد وأصرح بأنني قد جهزت رسالتي هذه بعنوان: " منهج التفسير الوعظي ونماذج عند قتادة السدوسي " وفقاً لقواعد كتابة الرسالة الخاصة بمعهد الدراسات العليا في جامعة يالوفا، وأنني قد حصلت على البيانات والمعلومات والوثائق الموجودة فيها في إطار القواعد الأكاديمية والأخلاقية، وقد قدّمت جميع المعلومات والوثائق والتقييمات والنتائج وفقاً للقواعد العلمية والأخلاقيات التي أشرت إليها، وعزوت كل ما نقلته فيها إلى مصادره ومراجعته المستفاد منها خلال دراسة الرسالة، دون القيام بإجراء أي تغيير في البيانات المنقولة، وأصرّح بأنّ العمل الذي قدّمته في هذه الرسالة أصلي، وأتحمل كامل المسؤولية القانونية التي قد تنشأ في حالة ثبوت عكس ما صرحت به.

التوقيع

أحمد إبراهيم

ETİK BEYAN

Yalova Üniversitesi Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Tez/Proje Yazım Kuralları'na uygun olarak hazırladığım "Katâde es-Sedûsî'nin Vaaz Tefsir Yöntemi ve Örnekleri" başlıklı bu tez çalışmasında; tez içinde sunduğum verileri, bilgileri ve dokümanları akademik ve etik kurallar çerçevesinde elde ettiğimi, tüm bilgi, belge, değerlendirme ve sonuçları bilimsel etik ve ahlak kurallarına uygun olarak sunduğumu, tez çalışmasında yararlandığım eserlerin tümüne uygun atıfta bulunarak kaynak gösterdiğimi, kullanılan verilerde herhangi bir değişiklik yapmadığımı, bu tezde sunduğum çalışmanın özgün olduğunu bildirir, aksinin tespiti halinde doğabilecek her türlü hukuki sorumluluğu kabul ettiğimi taahhüt ve beyan ederim.

İmza

Ahmed İBRAHİM



الشكر والتقدير

إن توفيق الله تعالى وفضله علي كانا عظيمين؛ إذ منَّ عليَّ بإتمام البحث الذي يحمل عنوان "منهج التفسير الوعظي ونماذجه عند قتادة السدوسي"، وإني لأسأله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتم فضله بالقبول، فهو السميع القريب المجيب، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وإني أتوجه بالشكر والتقدير والعرفان بالجميل إلى أساتذتي الكرام المشرفين السابقين كل باسمه ووصفه وجسمه وأخص بالذكر أصحاب الفضيلة الدكتور: سليمان أيدن والدكتور: أحمد الالباق والدكتورة: ضحى صالح والدكتور: عثمان سعيد والدكتور: عون الله أنس آتش على ما قدموه لي من دعم ونصيحة وعلم فقد تعلمت منهم الكثير والكثير، وكذلك أتوجه بالشكر والتقدير والعرفان إلى القائمين على (وقف الشريف) كل باسمه ووصفه وجسمه هؤلاء الكرام الذين زرعوا في حب العلم والعلماء ودعموني مادياً ومعنوياً راجياً من الله تعالى أن يجعلهم في عليين. الدنيا والآخرة.

ثم أتوجه بالشكر والتقدير والعرفان والدعاء لوالدي عليه رحمة الله تعالى، وأسأل الله تعالى أن يجعله ممن تقصده الملائكة الذين هم حول العرش بقولهم (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَذْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) اللهم آمين

ولا أنسى والدتي الكريمة التي حرصت كل الحرص، وشجعت كل التشجيع لأتابع طريقي في البحث والعلم. وكذلك أتوجه بالشكر والدعاء لأساتذتي الذين ساهموا في إنضاج هذا البحث، وأخص منهم الدكتور: عون الله أنس آتش، الذي تواضع فقبل الإشراف على بحثي، وأفاد في توجيهاته، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وجزى الله كل من ساعدني في خروج هذا البحث الى النور خير الجزاء، ولا يسعني إلا أن أقول لهم جزاكم الله عني خيراً كما أتقدم بالشكر للدولة التركية وجامعة يالوفا لإفساحها المجال للطلاب الذين لا يتكلمون اللغة التركية كي يكملوا مسيرتهم العلمية باللغة التي يجيدونها وأطلب من الله تعالى أن يبقي هذا الصرح، والصروح المشابهة؛ لتكون منارة يخرج منها العلماء العاملين.

وأختم بالشكر لزوجتي التي وفرت لي الظروف الملائمة وأتاحت لي جواً مريحاً كي أكمل بحثي، وكذلك أخص من ساعدني من الأصدقاء، جزى الله الجميع خير الجزاء.

ديسمبر - 2024

أحمد إبراهيم



فهرس المحتويات

i	التعهد بالالتزام بالقواعد الأخلاقية العلمية
iii	الشكر والتقدير
v	فهرس المحتويات
ix	الرموز والاختصارات
xi	الملخص
xiii	ÖZET
xv	ABSTRACT
1	المقدمة
9	الفصل الأول: قتادة السدوسي
11	المبحث الأول: التعريف بقتادة السدوسي
12	المطلب الثاني: طلبه للعلم
12	المطلب الثالث: ثناء العلماء عليه
13	المطلب الرابع: شيوخه وتلاميذه
13	المطلب الخامس: أقوال الأئمة والنقاد فيه
14	المبحث الثاني: موقفه من الفرق الإسلامية المعاصرة له رحمه الله
25	الفصل الثاني: منهج التفسير الوعظي
27	المبحث الأول: تعريف بمصطلحات البحث
27	المطلب الأول: تعريف المنهج لغة واصطلاحاً
28	المطلب الثاني: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً
29	المطلب الثالث: تعريف الوعظ لغة واصطلاحاً
30	المطلب الرابع: تعريف الأسلوب والتأصيل لغة واصطلاحاً
31	المبحث الثاني: تعريف التفسير الوعظي وضوابطه وأهميته

المطلب الأول: تعريف منهج التفسير الوعظي	31
المطلب الثاني: ضوابط منهج التفسير الوعظي وأهميته	32
المقصد الأول: ضوابط التفسير الوعظي	32
المقصد الثاني: أهمية التفسير الوعظي	35
المطلب الثالث: الفرق بين منهج التفسير الوعظي والمناهج الأخرى للتفسير	38
المقصد الأول: الفرق بين التفسير الوعظي والتفسير البياني	38
المقصد الثاني: الفرق بين التفسير الوعظي والتفسير الموضوعي	38
المقصد الثالث: الفرق بين التفسير الوعظي والتفسير التحليلي	39
المقصد الرابع: الفرق بين التفسير الوعظي والتفسير الفقهي	39
المقصد الخامس: الفرق بين التفسير الوعظي والتفسير الإشاري	40
المطلب الرابع: مميزات التفسير الوعظي	40
المبحث الثالث: التفسير الوعظي في صدر الإسلام	41
المطلب الأول: اهتمام القرآن بالموعظة	41
المطلب الثاني: التفسير الوعظي للقرآن الكريم بالقرآن الكريم	44
المطلب الثالث: التفسير الوعظي في السنة النبوية	49
المطلب الرابع: التفسير الوعظي في زمن الصحابة	58
المطلب الخامس: التفسير الوعظي في زمن التابعين	60
الفصل الثالث: نماذج من التفسير الوعظي لقتادة السدوسي	63
المبحث الأول: نماذج من أساليب التفسير الوعظي لقتادة السدوسي	65
المطلب الأول: الأسلوب الخبري	65
المطلب الثاني: أسلوب الالتفات	65
المطلب الثالث: أسلوب التكرار	66
المطلب الرابع: أسلوب الأمثال	66

66.....	المطلب الخامس: أسلوب القصة.....
68.....	المطلب السادس: أسلوب القصر والحصر
68.....	المطلب السابع: أسلوب الشرط
69.....	المطلب الثامن: أسلوب الأمر
69.....	المطلب التاسع: أسلوب النهي.....
70.....	المطلب العاشر: أسلوب الاستفهام.....
70.....	المطلب الحادي عشر: أسلوب التمني
70.....	المطلب الثاني عشر: أسلوب النداء
71.....	المطلب الثالث عشر: أسلوب التعجب
71.....	المطلب الرابع عشر: أسلوب المدح
72.....	المطلب الخامس عشر: أسلوب الذم.....
72.....	المطلب السادس عشر: أسلوب القسم.....
73.....	المطلب السابع عشر: الجمع بين الإيجاز والإطناب في تفسير آية واحدة.....
74.....	المطلب الثامن عشر: التنوع في استعمال أساليب الخطاب في النص التفسيري.....
75.....	الخاتمة.....
77.....	المصادر والمراجع
83.....	السيرة الذاتية.....



الرموز والاختصارات

الرموز

: إشارة ما بين هذا القوسين آية	{ }
: إشارة ما بين هذا القوسين حديث	« »
: اللانهاية	∞
: عدم المساواة	$\neq$

الاختصارات

: إلى آخره	إلخ
: بعد الميلاد	ب.م.
: تاريخ الوفاة	ت.
: جمع	ج.
: دون مكان النشر	د.م.
: دون ناشر \ لا يوجد دار نشر	د.ن.
: رقم الصفحة	ص.
: صلى الله عليه وسلم	صلعم
: رضي الله عنه / عنها..	ض
: رقم الطبعة	ط.
: ورقة	ق.
: قبل الميلاد	ق.م.
: مجلد	مج.
: دار النشر	ن.
: هجري	هـ

منهج التفسير الوعظي ونماذج عند قتادة السدوسي

الملخص

يتناول هذا البحث منهج التفسير الوعظي في صدر الإسلام، وهو دراسة تأصيلية وصفية تحليلية لمنهج من مناهج التفسير التي ساهمت في تيسير معاني القرآن الكريم للناس عامة، كما يتناول البحث الإجابة على الأسئلة التالية: ما هو تعريف التفسير الوعظي، وما هي أهميته، وما هي ضوابطه، وما هي أساليب التفسير الوعظي. وذكر البحث في داسته التأصيلية نماذج من التفسير الوعظي للقرآن الكريم بالقرآن الكريم وكذلك من سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحابة والتابعين - رضوان الله على الجميع -.

وقد تناول البحث في دراسته التأصيلية أيضاً العالم الجليل التابعي قتادة السدوسي-رحمه الله-كأنموذج. مبيناً كيف استخدم منهج الوعظ في التفسير وذكر البحث نماذج من تفسيره الوعظي للقرآن الكريم، ثم قام البحث بتحليل هذه النماذج، وقام البحث أيضاً بالتعريف بالإمام قتادة السدوسي وذكر آراء العلماء النقاد فيه، ومواقفه من الفرق الضالة في زمانه كما قام البحث بالرد على ما أثير حول الإمام من شبهة أنه كان قدرياً. واشتمل البحث على ثلاثة فصول ثم الخاتمة فيها كتبت جملة من النتائج والتوصيات لي وللباحثين ولكل المشتغلين والمهتمين بأن يكون القرآن الكريم منهج حياتهم.

الكلمات المفتاحية: التفسير، التفسير الوعظي، قتادة السدوسي، المنهج، الأسلوب.



VAAZ YÖNTEMİYLE TEFSİR VE KATÂDE ES-SEDÛSÎ'NİN ÖRNEKLERİ

ÖZET

Bu araştırma, İslam'ın ilk dönemlerinde vaaz yöntemiyle tefsir metodunu ele alan, tanımlayıcı ve analitik bir çalışma olarak Kur'an-ı Kerim'in anlamlarını insanlara daha kolay ulaştıran bir tefsir yöntemini incelemektedir. Araştırma şu sorulara cevap vermeyi amaçlamaktadır: Vaaz yöntemiyle tefsir nedir? Önemi nedir? Temel kuralları nelerdir? Vaaz yönteminin tefsir stilleri nelerdir?

Araştırma, Kur'an-ı Kerim'in kendi içindeki tefsir örnekleriyle birlikte Peygamber Efendimiz'in (s.a.v.), sahabe ve tabiîn dönemindeki uygulamalara da yer vermektedir. Ayrıca, büyük tabiîn âlimi Katade es-Sedûsî'nin bu yöntemi nasıl kullandığını gösteren örneklerle onun vaaz yöntemiyle tefsirini analiz etmiştir.

Araştırma, Katade es-Sedûsî'nin hayatını, eleştirilen âlimlerin onun hakkındaki görüşlerini, dönemin sapkın gruplarına karşı duruşunu ve hakkında ortaya atılan "kaderci" olduğu ve "müdelles" (rivayetleri doğrudan işitmediği halde işitmiş gibi rivayet eden) olduğuna dair şüpheleri de ele almış ve bu iddialara cevaplar sunmuştur.

Araştırma üç bölümden oluşmakta olup, sonuç ve öneriler kısmında araştırmacıya, akademisyenlere ve hayatlarını Kur'an-ı Kerim'i rehber edinmek isteyen herkese yönelik bazı tavsiyelere yer verilmiştir.

Anahtar Kelimeler: Tefsir, Vaazi Tefsir, Katâde es-Sedûsî, Metod, Üslup.



THE METHOD OF EXHORTATIVE TAFSIR AND ITS MODELS ACCORDING TO QATADAH AL-SADUSI

ABSTRACT

This research addresses the method of exhortative tafsir (interpretation) in early Islam. It is a foundational, descriptive, and analytical study of one of the tafsir methods that facilitated the understanding of the meanings of the Qur'an for the general public. The research aims to answer the following questions: What is the definition of exhortative tafsir? What is its significance? What are its principles? And what are its styles?

The study presents examples of exhortative tafsir from the Qur'an itself, as well as from the Prophet's Sunnah (peace be upon him), the Companions, and the Followers (may Allah be pleased with them).

The research also examines the great Tabi'i scholar Qatadah Al-Sadusi (may Allah have mercy on him) as a model, highlighting how he applied the exhortative method in tafsir. It provides examples from his Qur'anic interpretations and analyzes them. Additionally, the research introduces Imam Qatadah Al-Sadusi, mentions scholars' critical views about him, and discusses his stance against deviant sects of his time. It also responds to accusations that he was a Qadari (one who denies predestination) and a Mudallis (a narrator whose reports are accepted only if he explicitly states having heard them).

The research consists of three chapters, followed by a conclusion summarizing findings and recommendations for the researcher, scholars, and all those interested in making the Qur'an a guide for their lives.

Keywords: Tafsir, Exhortative Tafsir, Qatadah Al Sadudi, Method, Style.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

وبعد

إن الناظر في كتب التفسير يجدها شُحنت بالأراء الفقهية والمسائل الخلافية، وحُشدت فيها المسائل المتشعبة، واحتوت على مصطلحات علمية لا يعيها إلا أهل الاختصاص. إضافة إلى اللغة الصعبة التي كتبت بها بعض كتب التفسير مما يجعل العامة من المتلقين يحتاجون إلى من يفسر لهم كلام المفسر مما يجعلها تحيد بعض الشيء عن خطاب الشرع ومقاصده، وكذا عن خصائصه الشمولية والعالمية.

والناس مع ظروف الحياة الصعبة الآن تحتاج إلى تفسير سهل بسيط يمتاز بالإيجاز، وتبسيط العبارة، ويسلّط الضوء على العبرة والعظة، ويحث النفوس على الالتزام بالشرع والطاعة لله تعالى ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- حتى يصبح القرآن منهج حياة، يطبقه على أرض الواقع خاصة المسلمين وعامتهم. لذا قدمت هذا البحث وجعلته تحت عنوان (منهج التفسير الوعظي ونماذجه عند قتادة السدوسي) لأن التفسير الوعظي تفسير ميسر للناس كافة، خاصتهم وعامتهم، متعلمهم وجاهلهم، ومثقف الفكر منهم ومن دونه في الثقافة، وهو يخاطب الشريحة العظمى من المجتمع، وهي شريحة العوام التي هي السواد الأعظم، وهو يساهم في دعوة عوام الناس بطريقة سلسلة ميسرة بعيدة عن التعقيدات والتفاصيل المرهقة.

ذكرت فيه تعريفاً للتفسير الوعظي وبينت فيه أهميته وضوابطه، وذكرت فيه الفرق بينه وبين المناهج الأخرى في تفسير القرآن الكريم، وذكرت أساليب، ومميزات التفسير الوعظي، وعند التأصيل ذكرت نماذج من التفسير الوعظي في القرآن الكريم وكذلك نماذج من تفسير النبي -صلى الله عليه وسلم- للقرآن تفسراً وعظياً وكذا نماذج من تفسير الصحابة -رضوان الله تعالى عليه أجمعين- وذكرت أحد العلماء الأجلاء القدامى الذي تميز بهذا الأسلوب الجميل الرقيق هو التابعي الجليل (قتادة السدوسي) -رحمه الله تعالى- وذكرت جملة من أساليب تفسيره للقرآن الكريم تفسيراً وعظياً، ثم أتبعته هذه النماذج بالشرح والتحليل لبيان مطابقة هذه النماذج لتعريف وضوابط التفسير الوعظي. وقمت بالرد على من اتهموا الإمام قتادة السدوسي -رحمه الله تعالى- بأنه كان قديراً وقمت بالرد على من قالوا: أنه مدلس من الطبقة الثالثة فلا تقبل روايته عن غيره إلا إذا حدث بالسماع منه.

راجياً بهذا الجهد من الله تعالى المغفرة والعفو لي ولوالدي ولإخوتي ولأساتذتي الكرام وكل من له الحق علي كل باسمه ووصفه وجسمه. اللهم آمين

أهمية الدراسة

إن أهمية هذا البحث تكمن فيما يلي.

أولاً: هذا البحث يؤصل لمصطلح (منهج التفسير الوعظي)

ثانياً: هذا البحث يضع تعريفاً لمنهج التفسير الوعظي ويضع له ضوابطاً، ويذكر أساليبه التي تميزه عن غيره من مناهج التفسير الأخرى، وهو ما ليس موجوداً كمنهج مستقل لتفسير القرآن الكريم في كتب مناهج المفسرين سابقاً.

ثالثاً: يوجه الخطباء وأئمة المساجد والوعاظ والمشتغلين بأمر الدعوة إلى الله وهداية الناس إلى ربهم، والمشتغلين بإصلاح المجتمعات وبنائها على أساس متين إلى ما يجمع عليهم قلوب الناس وعقولهم وأجسادهم لأنه يرقق القلوب القاسية، ويهدي الله به النفوس الشاردة، فيزدجروا الناس عن الشر ويقبلوا على الخير فيكون بهذا صلاح الدين والدنيا والآخرة جميعاً.

مشكلة الدراسة

يحاول البحث الإجابة على الأسئلة التالية:

ما هو التفسير الوعظي؟

ما هي ضوابط التفسير الوعظي؟

ما هي أهمية التفسير الوعظي؟

هل كان موجوداً قديماً؟

ما هي أساليب التفسير الوعظي؟

هل استخدم قتادة السدوسي-رحمه الله-المنهج الوعظي في التفسير أم لا؟

هل كان قتادة السدوسي-رحمه الله-قديراً، وهل يشترط في قبول روايته عن غيره أن يحدث

بالسماح؟

أهداف الدراسة

ابتغاء مرضات الله تعالى فالبحث في كتاب الله تعالى خير ما صُرِفَتْ إليه الهمم وبذل فيه الجهد.

التأصيل لمنهج التفسير الوعظي وتوجيه أنظار أهل العلم إليه وخاصة علماء علم التفسير وعلم

مناهج المفسرين والمشتغلين بدعوة الناس إلى رب العالمين.

وضع تعريف واضح لمنهج التفسير الوعظي، وضع ضوابط لمنهج التفسير الوعظي، وذكر أساليب

التفسير الوعظي، حتى نستطيع الحكم على النص التفسيري هل هو وعظي أم لا.

توجيه الأنظار الى عِلْم من أعلام التابعين له تفسير خاص به (مفقود) وهو الإمام قتادة السدوسي _ رحمه الله تعالى _ والتعرف على حياته، وبيان استخدامه لمنهج التفسير الوعظي تفسير القرآن الكريم. المساهمة في إثبات أن القرآن الكريم لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه.

أسباب اختيار موضوع الدراسة

قد وقع اختياري على هذا الموضوع لثلاثة أسباب:

السبب الأول: إن كتب التفسير للقرآن الكريم نادراً ما تخلوا من قول وعظياً يفسر كلام الله-تعالى- وخاصة الكتب القديمة أمثال (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) للطبري (ت:310) وتفسير (تفسير بحر العلوم) للسمرقندي(ت:373) وغيرهما، ومع ذلك لم نجد أحداً من العلماء الذين كتبوا في علم مناهج التفسير والمفسرين أحد كتب في منهج التفسير الوعظي، ومن ذكره منهم كالدكتور فضل عباس ذكره كعنوان على مدرسة من مدارس التفسير بعد بن جرير الطبري.¹

السبب الثاني: وهو نتيجة للسبب الأول حيث لا يوجد تعريف لمصطلح (منهج التفسير الوعظي) ولا نعرف له ضوابط ولا أساليب نستطيع بها تمييز منهج التفسير الوعظي عن غيره من مناهج التفسير للقرآن الكريم. وأن ما ذكره الدكتور فضل عباس في إشارة إلى التفسير الوعظي لا يُعد تعريفاً جامعاً مانعاً كما سيأتي في الحديث عن الدراسات السابقة

السبب الثالث: صدر في سنة 2019 كتاب يحمل عنوان (التفسير الوعظي لسورتي الفاتحة والبقرة) للدكتور محمد محمود الطرايرة، ولم يكتب في مقدمة الكتاب ولا في ثناياه مفهوماً واضحاً عن التفسير الوعظي، ولم يذكر للتفسير الوعظي تعريفاً علمياً ولم يذكر له ضوابط ولا أساليب تميز بها التفسير الوعظي عن غيره. مما يهدف إليه البحث.

فلهذه الأسباب ولأسباب المذكورة في أهداف البحث، نهضت همتي بفضل الله تعالى إلى اختيار هذا الموضوع.

عسى أن أنال به رضا الله تعالى وأسهل به طريقاً من طرق العلم وباباً من أبواب الفهم للقرآن الكريم لعله يشفع لي، ولوالدي ولإخوتي، الأشقاء، ولأساتذتي الكريم الدكتور عون الله الله آتش الذي لم يدخروا جهداً في النصح لي، ولكل من أعانني على إخراج هذا البحث من الأساتذة والعلماء الكرام الأفاضل في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

صعوبات الدراسة

1 فضل حسن عباس إتقان البرهان في علوم القرآن، د. ت: دار النفائس-عمان-2021م، 2/222

كان من أكبر الصعوبات التي واجهت البحث صعوبتان رئيسيتان وهما: التأصيل لمصطلح منهج التفسير الوعظي وتحديد معنى التفسير الوعظي ووضع ضوابط له ومعرفة أساليبه ومميزاته. حيث لا توجد مصادر تتحدث عن هذه الأشياء تحديداً.

فالصعوبة تمثلت في أين نجد نماذج لمصطلح غير متداول بين أهل العلم؟ وهو التفسير الوعظي، وتغلبنا عليها بأن قمنا بالنظر في كتب التفسير القديمة التي تعتمد على التفسير بالمأثور مثل: تفسير الطبري وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (ت: 327هـ) وتفسير عبد الرازق الصنعاني (ت: 211هـ) واستخرجنا منها النماذج المناسبة لموضوع البحث طبقاً لضوابط الوعظ وأساليبه.

وتغلبنا على الصعوبة الثانية وهي تحديد معنى التفسير الوعظي. بأن قمنا بالنظر في كتب علم الوعظ القديمة مثل كتاب القصاص والمذكرين لابن الجوزي (ت: 597هـ) والحديثه مثل: كتاب الخطاب الوعظي مراجعة نقدية لأساليب الخطاب ومضامينه (دراسة استطلاعية) للدكتور: عبد الله بن رفود السفياني. فتعلمنا منها أهداف الوعظ وأساليب الوعظ وضوابط الوعظ المقبول ثم رجعنا إلى النماذج التي استخرجناها من كتب التفسير القديمة المشار إليها سابقاً وقمنا بتطبيق أهداف الوعظ وأساليبه وضوابطه على هذه النماذج وكان من نتيجة هذه المطابقة أننا استطعنا بحمد الله وتوفيقه أن نصوغ تعريفاً لمنهج التفسير الوعظي ونضع له ضوابط ونعرف أساليبه ومميزاته.

بحثنا هذا محدود بالبحث في مصطلح منهج التفسير الوعظي تعريفه، ضوابطه، أساليبه، مميزاته، وذكرنا نماذج له في زمن نزول الوحي على النبي -صلى الله عليه وسلم- وذكرنا نماذج له في زمن الصحابة والتابعين -رضوان الله عليهم أجمعين، وفي زمن التابعين ذكرنا نماذج للحسن البصري وكان التركيز في ذكر النماذج على قتادة السدوسي أكثر لأنه موضوع البحث.

الدراسات السابقة

إن جهود الأمة وعلمائها في خدمة علم تفسير القرآن الكريم منذ نزل الوحي على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى يومنا هذا لم تنقطع، وهي جهود كبيرة يعجز اللسان والقلم عن أن يوفيها حقها، فقد ألفت في علم تفسير القرآن الكريم والعلوم المتعلقة به مثل الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، والمكي والمدني، وغيرها من العلوم اللازمة لتفسير القرآن الكريم، وفي علم مناهج المفسرين مؤلفات كثيرة لا تحصى ولا تعد، سبقنا إليها ثلة من الأولين وقليل من الآخرين وكذلك سبقنا في علم الموعظة وآدابها وشروطها وكيفية أدائها عدد كبير من سلف الأمة وخلفها، غير أنه في حدود علمي وجهدي المتواضعين لا توجد مؤلفات في (التفسير الوعظي) كمنهج من مناهج التفسير له تعريف وضوابط وأساليب، بالرغم أنه لا يكاد يخلو كتاب من كتب التفسير قديماً وحديثاً من قول وعظي في تفسير آية من آيات كتاب الله

تعالى، وقد وجدنا في بعض كتب مفسرين الحديث إشارة إلى التفسير الوعظي مجرد إشارة فقط كما فعل الدكتور فضل عباس عندما تحدث عن المدارس التفسيرية بعد بن جرير الطبري-رحمه الله-(في كتابه إتيان البرهان في علوم القرآن. حيث ذكر التفسير الوعظي بقوله المدرسة الوعظية وقال "ونعني بها تلك المدرسة التي تجنب أصحابها ذكر المصطلحات النحوية والبلاغية والعقدية ولعل أشهر من كتب في هذه المدرسة، تفسير الخازن والخطيب الشربيني ثم شرع في الحديث عن التفسيرين.²

وإن ما ذكره الدكتور فضل عباس في إشارته هذه لا يُعد تعريفاً جامعاً مانعاً لأن المصطلحات النحوية والبلاغية والعقدية يتجنبها أيضاً أصحاب التفسير الموضوعي وأصحاب التفسير الفقهي، فضلاً عن أنه لم يذكر ضوابط محددة للتفسير الوعظي ولم يذكر أيضاً أساليب التفسير الوعظي ومميزاته عن المناهج الأخرى، كما أن المفسر الوعظي يحتاج إلى علم البلاغة كما سنرى في ثنايا البحث.

وقد صدر عن جامعة الخليل في عام 2018 بحثاً بعنوان عنوان البحث: مدرسة التفسير الوعظي المعاصر -دراسة ونقد-. إعداد الطالب: جواد إبراهيم مزاروة. إشراف: د. محسن سميح الخالدي.

غير أن البحث لم يذكر تعريفاً علمياً للتفسير الوعظي ولم يذكر ضوابط التفسير الوعظي ولم يذكر دليلاً على وجود التفسير الوعظي في القرآن الكريم إلا ما ذكره من أن القرآن ذكر القصص وركز على مواطن العبرة والعظة منها ولم يذكر تفسيراً وعظياً للنبي - صلى الله عليه وسلم - ولا لصحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين كما في الدراسة الخاصة بنا.

وقد صدر كتاب التفسير الوعظي لسورتي الفاتحة والبقرة للدكتور: محمد محمود الطرايرة، وكان قد قدم له الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي وقد حصلت على نسخة من الكتاب من الطبعة الثانية الصادرة في سنة 2019، ولم يذكر ما هو التفسير الوعظي ولم يذكر الضوابط التي يجب توفرها في النص التفسيري حتى نقول عنه أنه تفسير وعظي.

وستناول هذا الكتاب بشيء من التحليل والنقد لأنه أقرب شيء كتب في موضوع البحث حيث جاء عنوانه قريباً من هدف البحث.

وقد ذكر الدكتور محمد الطرايرة في مقدمة كتابه متحدثاً عن منهجه في التفسير: أنه يذكر الآيات والأحاديث التي تخدم فهم الآية ثم يذكر العبرة والعظة منها، وهو بهذا لا يفسر الآية مباشرة تفسيراً وعظياً إنما يفسر الآية الشارحة لها ثم يذكر العبرة والعظة من الآية الشارحة للآية موضع التفسير.

2 فضل عباس إتيان البرهان في علوم القرآن 222/2.

وذكر أيضاً: أنه يذكر مجمل آراء أهل التفسير وأهل الفقه إن لزم الأمر وفي الحقيقة أنه لم يترك آية للعلماء من أهل الفقه ولا من أهل التفسير ولا من أهل اللغة والبلاغة فيها آراء إلا وذكرها. وبالجمله هو يطيل كثيراً في تفسير الآيات بعد ذلك يشير إلى الملمح الوعظي مجرد إشارة مما يعني أن التفسير الوعظي ليس مقصوداً بحد ذاته في التفسير للآية كما يحمل معنى عنوان الكتاب،

فهو على سبيل المثال عند تفسيره لسورة الفاتحة: ذكر أسماء السورة والأحاديث الواردة في فضل سورة الفاتحة ثم ذكر الأحكام الخاصة بالسلمة وهل هي من الفاتحة أم لا، ثم ذكر الفرق بين الرحمن والرحيم من حيث البلاغة، ثم ذكر معنى الحمد والفرق بين الحمد والشكر، ثم ذكر القراءات الواردة في مالك يوم الدين ولماذا جاءت بعد الرحمن الرحيم مما يخص علم المناسبات. ثم أطل في ذكر آراء المفسرين في (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، ثم أنواع الهداية في (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) ثم أطل الكلام في (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)، ثم ذكر أنه يستحب أن يقال بعدها (آمين) وأن (آمين) ليست من السورة.

وبالجمله فهو لا يتعرض للتفسير الوعظي مباشرةً وعندما يذكر ملمحاً وعظياً يذكره بعد أن يطيل الكلام في أمور أخرى، كأن يقول في قوله تعالى (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ.....) قال: "ومقصود هذه الآية: احذروا أيها المسلمون من الوقوع فيما وقعوا فيه، وكونوا عباد الله إخواناً" قال هذا بعد أن تكلم عن الإيمان بالرسول وحكمه وفضله وهل الآية تقتضي التفاضل بين الأنبياء أم لا. ولماذا ذكر الله عيسى عليه السلام دون غيره من الأنبياء ولم يعمد إلى تفسير الآية تفسيراً وعظياً مباشراً في غالب كتابه إلا قليلاً كما في تفسيره لقوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.....) حيث قال بصيغة الخطاب "تأملوا هذا المثل العظيم الذي ضربه ربنا لأصحاب اليقين من المنفقين، الذين يتصدقون ابتغاء مرضات الله تعالى، لا رياء ولا فخرًا ولا منَّةً ولا أذى، الذين يبذلون أموالهم فيما افترض الله عليهم من زكاة وكفارات ونذور، ويبذلونها كذلك فيما ندب إليه الشرع من القرض والوقف والوصية والهبة والصدقة المستحقة وكفالة الأيتام وطلبة العلم، وبناء المساجد ودور القرآن" ولا يخفى ما فيها من الإطالة في ذكر أنواع النفقات.

وقد ذكر في مقدمة الطبعة الثانية أن التفسير الوعظي هو من التفسير الموضوعي وهو ما يثبت البحث عكسه تماماً-على ما سوف نرى إن شاء الله تعالى-

لذا أستطيع القول في حدود علمي المتواضع: أنه لا توجد دراسات سابقة في التفسير الوعظي تذكر لنا تعريفاً واضحاً للتفسير الوعظي، ولا دراسة تحدد لنا ضوابط وأساليب تساعد في تمييز هذا المنهج عن غيره من المناهج الأخرى للتفسير.





الفصل الأول: قتادة السدوسي





المبحث الأول: التعريف بقتادة السدوسي

المطلب الأول: اسمه ونسبه

هو الإمام الفقيه المفسر الحافظ أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، يبلغ نسبه إلى سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة، من بني بكر بن وائل، من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. فهو عربي أصيل، وليس من الموالي.³ ولد سنة ستين أو إحدى وستين للهجرة، وقال أبو حفص القلاس: "ولد سنة إحدى وستين". كان له خمس وخمسون سنة يوم مات في عام أحد عشرة ومائة هجرية.⁴

ولقد وقع اختيار البحث على الإمام قتادة السدوسي لعدد من الأسباب نُجملها فيما يلي:

الإمام قتادة تلميذ الإمام الحسن البصري رضي الله عنهما والإمام حسن البصري هو أول من تفرد بالوعظ من التابعين كما قال الأوزاعي "كما سيأتي"، فهو يعتبر مؤسس مدرسة التفسير الوعظي والمدارس في بداية التأسيس في الغالب لا تكتمل ملامحها ولا تتضح أهدافها ويكثر فيها النقد والقبول والرفض، بعكس الجيل الثاني، وهو مما يتناسب مع هدف من أهداف البحث وهو التأصيل لمنهج التفسير الوعظي.

ما ورد من أقوال تفسيرية وعظية عن قتادة هو أكثر مما جاءنا عن الحسن البصري رضي الله عنهما وإن كثيراً مما ورد عن قتادة هم مأخوذ عن الحسن البصري فالحديث عن التلميذ حديث عن الأستاذ.

الإمام قتادة السدوسي معروف لدي رجال علم الحديث ومشهور لديهم، وهو ممن تعتمد عليهم كتب الحديث "كما سيأتي" وهو كذلك في علم التفسير لكن شهرته في علم التفسير أقل من علم الحديث. لذا أراد البحث لفت انتباه أهل العلم لهذا العالم الجليل كمفسر وليس كمحدث خاصة وأنه لا تكاد تجد كتاباً من الكتب التفسيرية يخلو من أقوال قتادة، والتنبيه على أن له تفسير خاص به للقرآن الكريم فيه كل مروياته في التفسير المأثور عن سبقه فهو لا يقول في القرآن برأيه.

أراد البحث المساهمة في الدفاع عنه، والرد على من اتهموه بالقول بالقدر، هذه التهمة التي جعلت كثير من أهل العلم يتخرجون في النقل عنه كما قال محمد عبد العظيم الزرقاني في مناهل العرفان "كما سيأتي".

3 علي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي (ت 230هـ) مسند بن الجعد، تحقيق: عامر أحمد حيدر د. ت: مؤسسة نادر - بيروت، 1990م، 158.

4 أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت 327هـ) الجرح والتعديل، د. ت: إحياء التراث العربي - بيروت

طبعة: 1952 م 123/7.

المطلب الثاني: طلبه للعلم

نشأ بالبصرة، وجالس أنس بن مالك رضي الله عنه، وحفظ عنه حديثاً كثيراً، ثم جالس الحسن البصري مدة طويلة، ولزمه وتفقه به، وانتفع بمجالسته ومواعظه، وحفظ عنه حديث كثيراً، ووعى عنه مسائل كثيرة، وارتحل إلى المدينة فلزم سعيد بن المسيب أياماً يسأله عما يُشكل عليه ويحفظ ما يجاب به ويعيه، وكان سعيد بن المسيب يتعجب من حفظه وضبطه وجاور بمكة وسمع بها صحيفة جابر بن عبد الله رضي الله عنه فُرئت عليه مرة واحدة فحفظها، وكان يحدث بها. ولم يزل متعلماً حتى مات رحمه الله.⁵

المطلب الثالث: ثناء العلماء عليه

كان قتادة آية في الحفظ والضبط، لا يكاد ينسى ما سمعه، على كثرة ما سمع من الأحاديث والآثار في علوم كثيرة، وكان العلماء يتعجبون من قوة حفظه، وحسن سرده للأحاديث والآثار قال معمر بن راشد (ت: 154هـ) سمعت قتادة يقول: "ما سمعت أذناي شيئاً قط إلا وعاه قلبي".⁶

وقال سعيد بن المسيب (ت: 94هـ): "ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة".⁷

وقال الذهبي (ت: 748هـ) نقلاً عن الإمام أحمد بن حنبل (ت: 241هـ): "كان قتادة أحفظ أهل البصرة، لا يسمع شيئاً إلا حفظه". وقال الذهبي أيضاً: "وكان أحد ممن يُضرب المثل بحفظه".⁸

وكان قتادة مُبرزاً في علوم عدة؛ فكان حافظاً للأحاديث والآثار، مفسراً فقيهاً مفتياً عالماً بالعربية والأنساب والتاريخ. قال أبو حاتم الرازي (ت: 327هـ): "سمعت أحمد بن حنبل وقد ذكر قتادة فأطنب في ذكره؛ فجعل ينشر من علمه وفقهه ومعرفته بالاختلاف والتفسير وغير ذلك، وجعل يقول "عالم بتفسير القرآن، وباختلاف العلماء، ووصفه بالحفظ والفقه" وقال: "قلما تجد من يتقدمه، أما المثل فلعل".⁹

وقال عبد الرحمن بن مهدي: حدثنا حماد بن زيد عن أبي مسلمة قال: سمعت أبا قلابة؛ سأله رجل عن شيء فلم يقل فيه شيئاً؛ فقال: مَنْ أسأل؟ أسأل فلاناً؟ قال: لا. قال: أسأل فلاناً؟ قال: لا. قال: أسأل قتادة؟ قال: (نعم، سل قتادة).¹⁰

5 ابن أبي حاتم الرازي الجرح والتعديل، 134/3.

6 شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ) سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، د. ت: مؤسسة الرسالة، بيروت-1405، 271/5.

7 ابن الجعد مسند بن الجعد، 158/3.

8 شمس الدين الذهبي سير الأعلام 271/5.

9 أبو حاتم الرازي الجرح والتعديل 134/3.

10 ابن الجعد مسند بن الجعد 159/3.

المطلب الرابع: شيوخه وتلاميذه

روى قتادة عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: أنس بن مالك (ت: 93هـ)، وأبو الطفيل (عامر بن وائلة الكناني)، وأبو رافع مولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (ت: 102هـ)، وعبد الله بن سرجس. المزني (ت: 82هـ).

وروى عن جماعة من التابعين، منهم: سعيد بن المسيب، وأبو العالية الرياحي (ت: 90هـ)، وأبو عثمان النهدي (ت: 95هـ)، وعامر بن شراحيل الشعبي (ت: 103هـ)، والحسن البصري (ت: 110هـ)، وقد روى عنه خلق كثير، نذكر منهم: سعيد بن أبي عروبة (ت: 156هـ)، وعبد الرحمن أبو عمرو الأزعي (ت: 157هـ) وشعبة بن الحجاج (ت: 160هـ) وله في تفسير ابن جرير وحده أكثر من خمسة آلاف رواية وله في تفسير عبد الرزاق بن همام (ت: 211هـ) من طريق معمر بن راشد (ت: 57هـ) نحو ألف وسبعمائة رواية، وله في غيرهما روايات كثيرة جداً.¹¹

المطلب الخامس: أقوال الأئمة والنقاد فيه

الذي استقرّ عليه كلام الأئمة النقاد أن قتادة رحمه الله ثقة حافظ، تام الضبط، وقد روى بن أبي حاتم الرازي مجموعة من الآثار عن عدد من العلماء النقاد نذكر بعضها لنعرف قدر قتادة-رحمه الله-. فقال بسنده إلى معمر، "كان معمر يقول لم أرى من هؤلاء أفقه من الزهري وحماة وقاتدة، وحدثنا عبد الرحمن قال سألت أبي قلت قتادة عن معاذة أحب إليك أو أيوب عن معاذة؟ فقال قتادة إذا ذكر الخبر وقاتدة أحب إلى من يزيد الرشك، وكان بكر بن عبد الله يقول من أراد أن ينظر إلي أحفظ من رأينا؛ وما رأينا الذي هو أحفظ منه ولا أخرى من أن يأتي بالحديث كما سمعه فليُنظر إلى قتادة. وقال عنه يحيى بن معين أن قتادة ثقة، وقال أبو داود الطيالسي: ذكرَ سفيانُ لشعبة حديثاً لقتادة؛ فقال سفيان: (وكان في الدنيا مثل قَتادة؟!)" وقال أبو حاتم الرازي: (أكبر أصحاب الحسن قتادة، وأثبت أصحاب أنس الزهري ثم قَتادة). وقال ابن أبي حاتم: (كان قَتادة بارع العلم، نسيج وحده في الحفظ في زمانه، لا يتقدّمه كبير أحد). واحتجّ به البخاري ومسلم في صحيحيهما، وأحاديثه في دواوين السنّة كثيرة جداً.¹²

وقال: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي (ت: 317هـ) قال: سمعت سريح بن يونس يقول: سمعت هُشَيْماً يقول: إذا جاء قَتادة في حديث فتركوا حديث الناس ونقل معمر عن محمد بن

11 محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد (ت: 230هـ) الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، د. ت: دار الكتب العلمية - بيروت طبعة:

1990م 229/7

12 أبو حاتم الرازي الجرح والتعديل 3/ 134، 133.

سيرين: (قتادة أحفظ الناس، أو من أحفظ الناس). وقال عفان بن مسلم: قال لي همام: (كلّ شيء أقول لكم: قاله قتادة، فأنا سمعته منه، فإذا كان فيه لحن فأعربوه؛ فإن قتادة كان لا يلحن).¹³

قال ابن سعد: (وكان ثقة مأموناً، حجة في الحديث). وقال إسحاق بن منصور، عن يحيى بن معين: (ثقة).¹⁴

وقال النووي بعد أن ذكر مجموعة من العلماء الذين تلقوا منه العلم ورووا عنه منهم الأوزاعي وشعبة وغيرهم ثم أجمعوا على جلالته وتوثيقه وحفظه وإتقانه وفضله.¹⁵

المبحث الثاني: موقفه من الفرق الإسلامية المعاصرة له رحمه الله

عاصر قتادة رحمه الله الفرق الإسلامية المختلفة المتلبسة بالبدعة أو الضلالة فكان يعارض هذه الفرق ويكشف زيغها وضلالها فقد تصدى رحمه الله لهذه الفرق وندد بها وكان شديداً على الخوارج خاصة ولعل ذلك لظهورها وانتشارها السريع وخطرها على الأمة بخلاف الفرق الأخرى فيها هو يشن هجوماً عنيفاً على السبئية والخوارج ويبين ضلالهم عند تفسير قوله تعالى من سورة آل عمران قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) [آل عمران: 7] فكان يقول: إن لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدري من هم. ولعمري لقد كان في أهل بدر والحديبية الذين شهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار، خبر لمن استخبر وعبرة لمن استعبر لمن كان يعقل أو يبصر. إن الخوارج خرجوا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ كثير بالمدينة والشام والعراق وأزواجه يومئذ أحياء والله ما خرج منهم ذكر ولا أنثى حرورياً قط، ولا رضوا الذي هم عليه ولا مالتوهم فيه، بل كانوا يحدثون بعيب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم ونعته الذي نعتهم به، وكانوا يبغضونهم بقلوبهم ويعادونهم بالسنتهم وتشتد والله عليهم أيديهم إذا لقوهم ولعمري لو كان أمر الخوارج هدى لاجتمع، ولكنه كان ضلالاً فتفرق، وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافاً كثيراً، فهم في هذا الأمر منذ زمان طويل، فهل أفلحوا فيه يوماً أو أنجحوا؟ يا سبحان الله كيف لا يعتبر آخر هؤلاء القوم بأولهم؟ لو كانوا على هدى قد أظهره الله وأفلجه ونصره، ولكنهم كانوا على باطل أكذبه الله وأدحضه، فهم كما رأيتهم كلما خرج لهم قرن أدحض الله حجتهم، وأكذب أحدثتهم وأهرق دماءهم وإن كنتموا كان قرحاً في قلوبهم

13 ابن الجعد مسند بن الجعد 159/3.

14 ابن سعد الطبقات الكبرى 229/7.

15 أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ) تهذيب الأسماء واللغات، د. ت: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان 58/2.

وغما عليهم وإن أظهروه أهرق الله دماءهم، ذاكم والله دين سوء فاجتنبوه. والله إن اليهود لبدعة وإن النصرانية لبدعة، وإن الحرورية لبدعة، وإن السبئية لبدعة، ما نزل بهن كتاب ولا سنهن نبي.¹⁶

وتجده يحمل على أهل البدع والافتراء على الله بالباطل عند تفسيره لقوله تعالى من الحجرات (وإن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [الحجرات: 9] فيقول: ذكر لنا أنها نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مداراة في حقّ بينهما، فقال أحدهما للآخر: لاأخذنه عنوة لكثرة عشيرته، وأن الآخر دعاه ليحاكمه إلى نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأبى أن يتبعه، فلم يزل الأمر حتى تدافعا ، وحتى تناول بعضهم بعضا بالأيدي والنعال ، ولم يكن قتال بالسيوف ، فأمر الله أن تُقاتل حتى تفيء إلى أمر الله ، كتاب الله ، وإلى حكم نبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وليست كما تأولها أهل الشبهات، وأهل البدع ، وأهل الفراء على الله وعلى كتابه ، أنه المؤمن يحلّ لك قتله، فوالله لقد عظم الله حرمة المؤمن حتى نهاك أن تظنّ بأخيك إلا خيرا، فقال إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... الآية. [المؤمنون: 1].¹⁷

ولما ظهرت المعتزلة وقف منها رحمه الله موقفا حاسما حازما حتى أنهم كانوا يمنعون الناس ويمتنعون هم عن مجالسه فقد روى أن عثمان الطويل قال: لقيت قتادة فقال يا عثمان ما حبسك عنا؟ لعل هذه المعتزلة حبستك عنا قال: فقلت نعم.¹⁸

المبحث الثالث: الدفاع عن قتادة السدوسي.

المطلب الأول: الاتهام بالقدرية:

قال وكيع: كان سعيد بن أبي عروبة، وهشام الدستوائي وغيرهما يقولون: قال قتادة: (كل شيء بقدر إلا المعاصي).¹⁹

وقال عبد الله بن شاذب: (سمعت قتادة يصيح بالقدر في مسجد البصرة صياحا) وقال أيضا ما كان قتادة يرضى حتى يصيح به صياحا.²⁰

وقال العجلي: قتادة بن دعامة السدوسي: يكنى أبا الخطاب، بصري، تابعي، ثقة وكان يقول بشيء من القدر، وكان لا يدعو إليه، ولا يتكلم فيه.²¹

وقال بن سعد كان ثقة مأمونا حجة في الحديث. وكان يقول بشيء من القدر.²²

16 أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310 هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي د. ت: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 2001م 178/2.

17 الطبري 129/26.

18 أبو حاتم الرازي الجرح والتعديل. 172/6.

19 شمس الدين الذهبي سير الأعلام 272/5؛ تذكرة الحفاظ 93/1؛ تهذيب التهذيب 396/7؛ تاريخ الإسلام 456/7

20 أبو يوسف يعقوب بن سفيان القسوي (ت 277 هـ) المعرفة والتاريخ تحقيق أكرم ضياء العمري، د. ت: مطبعة الإرشاد - بغداد-1974: 280/2 وسير الأعلام 27/5

21 أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي (ت 261 هـ) تاريخ الثقات تحقيق الدكتور عبد المعطي قلنجي، د. ت: دار الباز-1984م 389.

22 ابن سعد الطبقات الكبرى 171/7

وقال حنظلة بن أبي سفيان: (كنت أرى طاووسا إذا أتاه قتادة يسأله يفرّ قال: (وكان قتادة يُتَّهم بالقدر).²³
وقال عبد الرزاق: سمعت مالكا يقول-وسألته عن معمر فقال:- (إنه لولا). قال: قلت: لولا ماذا؟ قال:
(لولا روايته عن قتادة).²⁴

قال علي بن المديني: قلت ليحيى [القطان]: إن عبد الرحمن [بن مهدي] يقول: اترك من كان رأسا في بدعة يدعو إليها. قال: كيف نصنع بقتادة، وابن أبي رواد، وعمر بن زر، وذكر قوماً. قال يحيى: إن تُرك هذا الضرب ترك أناسا كثيرا.²⁵

وقال الذهبي: هو حجة بالإجماع إذا بين السماع، فإنه مدلس معروف بذلك، وكان يرى القدر -نسأل الله العفو- ومع هذا؛ فما توقّف أحد في صدقه وعدالته وحفظه، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببذعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده، ولا يسأل عما يفعل. ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثّر صوابه، وعلم تحريره للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يغفر له زلله، ولا نُضِلُّه ونطّرحه وننسى محاسنه. نعم، ولا نفتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك".²⁶

وقال معمر: سألت أبا عمرو بن العلاء عن قوله تعالى: (وما كنا له مقرنين)، فلم يجبني، فقلت: إني سمعت قتادة يقول: مطيقين، فسكت، فقلت له: ما تقول يا أبا عمرو فقال: حسبك قتادة، فلو لا كلامه في القدر -وقد قال صلى الله عليه وسلم إذا ذكر القدر فأمسكوا -لما عدلت به أحدا من أهل دهره.²⁷

المطلب الثاني: الرد على اتهام قتادة بالقدرية

ونلاحظ أثر هذه التهمة في تخرج كثير من أهل العلم في النقل عن الإمام قتادة رحمه الله كما يقول محمد عبد العظيم الزرقاني أنه كان يخوض في القضاء والقدر فتخرج بعض المفسرين من الرواية عنه.²⁸ حيث يشترط لقبول التفسير سلامة وصحة عقيدة المفسر.

المقصد الأول: نشأة القـدريـة

ظهرت القدرية في البصرة في آخر عصر الصحابة بعد عصر الخلفاء الراشدين، روى مسلم عن يحيى بن يعمر، قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهنّي، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين - أو معتمرين - فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوّق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد، فاكتنفته (يعني صرنا في ناحيته)، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن، ويتفقرون (يطلبون) العلم، وذكرت من شأنهم، أنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، قال: (فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنني بريء منهم، وأنهم برآء مني)، والذي يحلف به عبدالله بن عمر (لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً، فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر) وقال الإمام النووي -رحمه الله في شرح كلام يحيى بن يعمر قوله: (أول من قال

23 ابن الجعد مسند بن الجعد 159/3

24 أبو يوسف الفسوي المعرفة والتاريخ 280/2

25 ابن الجعد مسند بن الجعد 160/3

26 شمس الدين الذهبي سير الأعلام 271/ 5

27 أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (681هـ) وفيات الأعيان بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، د. ت: دار

صادر، -بيروت-1900م 496/3

28 الزرقاني، محمد عبد العظيم ت (1367 هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 21/2

في القدر) فمعناه: "أول من قال بنفي القدر فابتدع وخالف الصواب الذي عليه أهل الحق، ويقال: القدر والقدر بفتح الدال وإسكانها، لغتان مشهورتان وحكماهما ابن قتيبة عن الكسائي".²⁹

وقد حكم الإمام النووي- رحمه الله تعالى- ببطلان هذا المذهب حين قال: واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى، وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه سبحانه وتعالى بها، وأنها مستأنفة العلم؛ أي: إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها، وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجل عن أقوالهم الباطلة علواً كبيراً، وسميت هذه الفرقة قدرية لإنكارهم القدر.

ومعنى قوله: (وأن الأمر أنف) أي: مستأنف، لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه؛ وهذا القول قول غلاتهم، وليس قول جميع القدرية، وكذب قائله وضلّ وافترى، عافانا الله وسائر المسلمين.³⁰

المقصد الثاني: تفسير قتادة - رحمه الله - الآيات التي كان يستدل بها القدرية على صحة مذهبهم بعكس ما يقول القديرون.

1- قال الله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة:4]

جاء في تفسير بن أبي حاتم

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَزْبٍ، ثنا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، عَنْ حُسَيْنِ بْنِ وَقْدٍ عَنْ مَطَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) "دَلَّ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ كَذَّافٌ قَوْلُوا". أي فقولوا إياك نعبد وإياك نستعين.

وقال أيضاً: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الصَّبَّاحِ، ثنا عَبْدُ الْوَهَّابِ عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) قَالَ: يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوهُ عَلَى أَمْرِكُمْ.³¹

والقدرية لا تقول بهذا.

ولما ولي هشام بن عبد الملك أمر المسلمين، أرسل إلى غيلان "أحد صعاليك القدرية"، فقال: "أليس قد عاهدت الله عز وجل لعمر [يعني ابن عبد العزيز رحمه الله] ألا تتكلم في شيء من هذا الأمر أبداً؟ قال: أقلني فوالله لا أعود، قال: لا أقلني الله إن أقلتك، هل تقرأ فاتحة الكتاب؟ قال: نعم، قال: فقرأ، فقرأ {الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين} قال: قف. علام استعنته، على أمر بيده لا تستطيعه إلا به، أو على أمر في يدك أو بيدك؟ اذهبوا به فاقطعوا يديه ورجليه، واضربوا عنقه، واصلبوه.³²

2- قال الله تعالى (قَدَرٌ فَهَدَى) [الأعلى:3]

29 عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (ت 429هـ) الفرق بين الفرق وبين الفرق الناجية، د. ت: دار الأفاق الجديدة

- بيروت-1977م، 39

30 المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي، د. ت: دار إحياء التراث العربي - بيروت-:1392هـ ج 1/ 152، 151

31 ابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم (ت327هـ) تفسير القرآن العظيم تحقيق: أسعد محمد الطيب، د. ت: مكتبة نزار

مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية. طبعة: 1419 هـ 29/1

32 أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي (ت290هـ) كتاب السنة تحقيق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، د. ت: دار ابن القيم -

الدمام-1986 م حديث حسن رقم: 911

وفى هذه الآية ذكر بن تيمية قول قتادة حيث قال بن تيمية: قال قتادة: في تفسير (فقد رُفِدَ) على ضلالةٍ ولا رضىٍ لها ولا أمره ولكن رضى لکم الطاعة فأمرکم بها ونهاکم عن معصيته .

ثم علق عليه قائلا: قلت: قتادة ذكر هذا عند هذه الآية ليبين أن الله قدر ما قدره من السعادة والشقاوة كما قال الحسن وقاتلة وغيرهما من أئمة المسلمين فإنهم لم يكونوا متنازعين في ما سبق من سبق تقدير الله وإنما كان نزاع بعضهم في الإرادة وخلق الأفعال. وإنما نازع في التقدير السابق والكتاب أولئك الذين تبرأ منهم الصحابة كإبن عمر وإبن عباس وغيرهما.

وذكر قتادة أن الله لم يكره أحدًا على معصية. وهذا صحيح، فإن أهل السنة الموثقين للقدر متفقون على أن الله لا يكره أحدًا على معصية كما يكره الوالي والقاضي وغيرهما للمخلوق على خلاف مراده يكرهونه بالعقوبة والوعيد، بل هو سبحانه يخلق إرادة العبد للعمل وقدرته وعمله وهو خالق كل شيء.

وهذا الذي قاله قتادة قد يظن فيه أنه من قول القدرية وأنه ليسبب مثل هذا أنهم قتادة بالقدر حتى قيل: إن مالكا كره لمعمر أن يزوي عنه التفسير لكونه أنهم بالقدر. وهذا القول حق ولم يعرف أحد من السلف قال "إن الله أكره أحدًا على معصية".³³

وقال الذهبي معلقا على كراهية مالك لنقل التفسير عن معمر عن قتادة "يظهر على مالك الإمام إعراض عن التفسير؛ لانقطاع أسانيد ذلك، فقلما روى منه".³⁴

3- قال الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) (الحج: 17)

روى البيهقي في مسنده أخبرنا أبو الحسين محمد بن الحسين بن الفضل القطان ببغداد ، أنا أبو سهل بن زياد القطان ، حدنا عبد الله بن روح ، حدنا شبابة بن سوار ، حدنا الحكم بن عمر الرعي ، قال : أُرسلني خالد بن عبد الله إلى قتادة وهو بالجيرة [علها البصرة] أسأله عن مسأل ، فكان فيما سألت قلت : أخبرني عن قول الله عز وجل : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) [الحج : 17]

هم مشركو العرب؟ قال: " لا ، ولكنهم الرنادقة المنابذة الذين يجعلون لله شريكا في خلقه. قالوا: إن الله يخلق الخير، وإن الشيطان يخلق الشر، وليس لله على الشيطان قدرة".³⁵

4- قال الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْرُهُمْ أَرَا) [مريم: 83] وقال أبو زرعة الدمشقي في تاريخه

و هو يتكلم عن سعيد بن بشير، سمعت أبا مسهر ، يقول : " أتينا سعيد بن بشير ، أنا ، ومحمد بن شعيب ، فقال : لا والله لا أقول : " إن الله قدر الشر، ويعذب عليه "، ثم قال : أستغفر الله أردت الخير ، فوقع في الشر ، أنبأنا قتادة عن قول الله تبارك وتعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ

33 نقى الدين أحمد بن تيمية (ت 728هـ) مجموع الفتاوى جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله وساعده: ابنه محمد، د. ت: الأوقاف السعودية 2004

م 141-140 / 16

34 الذهبي سير الأعلام 9/7

35 أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللاكائي (ت 418 هـ) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي،

د. ت: دار طيبة - السعودية 2003م باب جماع توحيد الله عز وجل وصفاته وأسمائه وأنه حي قادر عالم سميع بصير متكلم مرید باق، حديث رقم (1297)

تَوَزُّهُمُ أَرَأَى قَالَ : تَرْعِيهِمْ إِلَى الْمَعَاصِي إِزْعَاجًا " . قَالَ أَبُو مُسْهَرٍ " إِنَّهُ اعْتَدَرَ مِنْ كَلِمَتِهِ، فَاسْتَعْفَرَ، وَحُمِلَ عَنْهُ " ³⁶.

فلو كان قتادة-رحمه الله تعالى-يقول بالقدر لما استشهد محمد بن شعيب بقوله-رحمه الله تعالى-في الآية عندما أدرك أنه أخطأ في قوله أن الله لا يقدر الشر ولا يعذب عليه. ولو كان قتادة يقول بالقدر هل كان سيصفهم بوصف الزنادقة بالطبع لا، وقد شهد بن تيمية أن ما ذهب إليه قتادة هو مذهب أهل السنة. خلاصة القول:

إن الناظر في أقوال قتادة -رحمه الله-يعلم علم اليقين أن قتادة لم يكون ممن قالوا بالقدر بل كان يرد على القدرين ويدحض حجته ولم يخالف سلف الأمة في هذا أبداً.

المقصد الثالث: تعقب أقوال العلماء الذين نسبوا إلى قتادة رحمه الله القول بالقدر وقد سبق وأن ذكرناها أولاً: ما نسب إليه من قوله-رحمه الله تعالى-(كل شيء بقدر إلا المعاصي).

إن هذه العبارة ذكرها الإمام الذهبي عن وكيع الجراح بدون سند إلى وكيع في سير الأعلام، وأيضاً في تذكرة الحفاظ وفي تهذيب التهذيب وفي تاريخ الإسلام. (37) و(وكيع بن الجراح) ولد في عام تسع وعشرين والمائة وتوفي في عام سبعة وتسعين ومائة هجرية. ³⁸ أي ولد بعد وفاة قتادة-رحمه الله تعالى-بتسعة عشر سنة.

والذهبي مولود في عام ثلاثة وسبعين وستمائة هجرية وتوفي في عام ثمانية وأربعين وسبعمائة هجرية. ³⁹

فوكيع الجراح هذا من أبناء القرن الثاني الهجري والذهبي من أبناء القرن الثامن الهجري ولا سند مذكور هنا وهذه المقولة ذاتها نسبت أيضاً زورا وبهتاناً إلى الإمام حسن البصري فقد ذكرها أحمد بن يحيى المرتضى المتوفى في سنة أربعين بعد المائة الثامنة هجرية في كتابه (المنية والأمل في شرح الملل والنحل) على لسان المعتزلة يروون عن داود بن أبي هند (ت: 139هـ) أنه قال: سمعت الحسن يقول: كل شيء بقضاء وقدر إلا المعاصي. ⁴⁰

لعل الإمام الذهبي خلط بين ما أتهم به قتادة-رحمه الله تعالى-وما أتهم به زورا شيخه الإمام حسن البصري -رحمه الله تعالى-وقد كفانا الدكتور الصلابي في كتابه الدولة الأموية رد هذه الفرية عن الإمام الحسن البصري رحمه الله. ⁴¹

مع الأخذ في الاعتبار أننا لم نجد لها منسوبة إلى قتادة في أي من كتب الرجال ممن هم كانوا قبل شمس الدين الذهبي مثل كتاب التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، وكتاب العلل ومعرفة الرجال لأبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت241هـ)، وكتاب المعرفة

36 عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري [المشهور بأبي زرعة الدمشقي الملقب بشيخ الشباب] (ت 281 هـ) تاريخ أبو زرعة الدمشقي، دراسة وتحقيق: شكر الله بن نعمة الله القوجاني أصل التحقيق: رسالة ماجستير بكلية الآداب بجامعة بغداد، 1973م، د. ت: مجمع اللغة العربية - دمشق-400.

37 الذهبي سير الأعلام ج5/272 تذكرة الحفاظ 93/1 تهذيب التهذيب 396/7 تاريخ الإسلام 301/3

38 الذهبي سير الأعلام 142/9

39 تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت 771هـ) طبقات الشافعية الكبرى تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلوة، د. ت: هجر للطباعة

والنشر والتوزيع، 1413هـ (9/ 101)

40 أحمد بن يحيى المرتضى (ت840هـ) المنية والأمل في شرح الملل والنحل، د. ت: دار الندى، 1410هـ. 12

41 على محمد محمد الصلابي الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، د. ت: دار الروضة للطباعة والنشر والتوزيع ط 2017 م ج 404/2

والتاريخ لأبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت 277 هـ)، وكتاب مسند بن الجعد لعلي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي (ت 230 هـ)، وكتاب الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد (ت 230 هـ)، وكتاب الجرح والتعديل لأبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت 327 هـ)، وكتاب تاريخ الثقات لأبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي (ت 261 هـ)، وكتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت 430 هـ)، وكتاب تهذيب الأسماء واللغات لأبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت 676 هـ)،

ثانياً: قول عبد الله بن شاذب: (سمعت قتادة يصيح بالقدر في مسجد البصرة صياحاً وقوله أيضاً: ما كان قتادة يرضى حتى يصيح به صياحاً) يعني القدر

فهذا غير مسلم له خاصة لو علمنا ما قاله بن معين أن قتادة لم يدعو إلى بدعة.⁴²

أما طاووس بن كيسان الفارسي توفي في عام ستة ومائة هجرية.⁴³

أي قرين قتادة وقد قال الذهبي: أن قول القرين في قرينه في الجرح يطوى ولا يروى ويرده أيضاً قول العجلي وهو المتوفى سنة واحد وستون بعد المائتين عن قتادة كان لا يدعو إليه ولا يتكلم فيه أي القدر.⁴⁴

وأيضاً قول أبو داود لم يثبت عندنا عن قتادة القول بالقدر.⁴⁵

ولو كان قال بهذا هل كان سيخفى على محمد بن سيرن وهو الذي قال لرجل جاء يسأله عن أنه رأى في المنام كأن حمامة التقت لؤلؤة فخرجت كما دخلت سواء فقال هو قتادة هو أحفظ الناس.⁴⁶

وهل كان شعبة الذي قال: كان قتادة يغضب إذا وقفته على الإسناد. فحدثته يوماً بحديث أعجبه، فقال: من حدثك؟ قلت: فلان، عن فلان. قال: فكان يعده.⁴⁷ والذي كان لا يكتب حديثاً عن قتادة إلا إذا تأكد منه كما قال عبد الرحمن بن مهدي: سمعت شعبة يقول: «كنت أتفطن إلى فم قتادة كيف يقول، فإذا قال حدثنا. كتبت».⁴⁸ هل كان سوف ينقل عن قتادة قولاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو على هذه البدعة المنكرة عند سلف الأمة وخلفها.

أما ما بقي من أقوال العلماء عن قتادة أنه كان يقول بشيء من القدر:

فهو غير معلوم فلم يذكر أحد منهم ماذا قال ولا لمن قال ولعل هذا الاتهام لم يسلم منه أحد في البصرة ومن المسلم به أن ما تطرق إليه الاحتمال يسقط به الاستدلال.

الخلاصة:

يظهر للبحث والله أعلى وأعلم أن قتادة لم يتكلم بهذه البدعة المنكرة بل كان يرفضها ويحاربها بدليل ما حدث به عاصم الأحول أنه جلس إلى قتادة فذكر عمرو بن عبيد فوقه فيه قتادة ونال منه فقال له أبو

42 شمس الدين الذهبي ميزان الاعتدال في نقد الرجال تحقيق: علي محمد الجاوي، د. ت: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان: 1963 م 373/3

43 شمس الدين الذهبي سير أعلام النبلاء 49/5

44 أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي (ت 261 هـ) تاريخ الثقات تحقيق الدكتور عبد المعطي قلجي، د. ت: دار الباز-1984م 215/2

45 أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) هدي الساري مقدمة فتح الباري تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، د. ت: دار المعرفة-بيروت:

458، 1379

46 أبو حاتم الرازي الجرح والتعديل 134/3

47 ابن الجعد مسند بن الجعد 159/3

48 ابن سعد الطبقات الكبرى 171/7

عاصم يا أبا الخطاب أرى أن العلماء يقع بعضهم في بعض فقال يا أحيول ألا تدري أن الرجل إذا ابتدع بدعة ينبغي لها أن تذكر حتى يُحذر.⁴⁹

وعاصم الأحول هو أبو عبد الرحمن البصري كان من شيوخ قتادة غير أنه توفي بعد قتادة في عام اثنتين وأربعين بعد المائة.⁵⁰

وعمر بن عبيد الذي تكلم عنه هو من رؤوس القدرية ألف في تأييد مذهبهم والرد على أهل السنة كتاباً.⁵¹

فلو كان قتادة قدريا هل كان سوف يقول هذا الكلام الذي يعنى أن القدرية بدعة ويحذر الناس منها ومن دعائها؛ وها هو عبد الله الدستوائي يقول سمعت قتادة يقول: (ما نهى الله عن ذنب إلا وعلم أنه موقع إلا تقدمه حجة).⁵²

ويؤيد ما ذهب إليه قول الإمام بن تيمية: والقدرية المحتجون بالقدر على المعاصي شر من القدرية المكذبين بالقدر، وهم أعداء الملل. وأكثر ما أوقع الناس في التكذيب بالقدر احتجاج هؤلاء به. ولهذا اتهم بمذهب القدر غير واحد ولم يكونوا قدرياً، بل كانوا لا يقبلون الاحتجاج على المعاصي بالقدر، كما قيل للإمام أحمد: كان ابن أبي ذئب قدرياً، فقال: الناس كل من شدد عليهم في المعاصي، قالوا هذا قدري وقد قيل إنه بهذا السبب نسب إلى الحسن القدر، لكونه كان شديد الإنكار للمعاصي ناهياً عنها.⁵³

هذا والله أعلى وأعلم.

المبحث الرابع: مناهج قتادة السدوسي في التفسير

لقد كان لقتادة رحمه الله في تفسيره للقرآن الكريم مناهج أخرى غير منهجه الوعظي في التفسير نذكر بعضاً منها فيما يلي

المطلب الأول تفسير القرآن بالقرآن

فقد كان من منهجه أنه يفسر آية بأية أخرى وتتوالت أساليبه في تفسيره للقرآن بالقرآن كأن يقول قوله تعالى كذا كقوله تعالى كذا. فقد روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام في سورة العنكبوت {آتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا} [العنكبوت: 27] قال قتادة هي كقوله تعالى {وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} [النحل: 122].⁽⁵⁴⁾

49 شمس الدين الذهبي ميزان الاعتدال 273/2

50 شمس الدين الذهبي التهذيب 38/5؛ سير الأعلام 248/3

51 شمس الدين الذهبي ميزان الاعتدال 294/2؛ سير الأعلام، 85/1

52 أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت 430 هـ) حلية الأولياء وظيفات الأصفياء، السعادة - القاهرة - 1394 هـ، 336/3

53 تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت 728 هـ) مناهج السنة النبوية

في نقض كلام الشيعة القدرية تحقيق: محمد رشاد سالم، د. ت. - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1986 م 24/3

54 أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعائي (ت 211 هـ) تفسير عبد الرزاق، تحقيق: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت - 1419 هـ

وقد يفسر الآية أولا ثم يستشهد لتفسيره بأية أخرى وهذا مثل ما رواه الطبري عن قتادة في تفسيره لسورة الإسراء {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} [الإسراء: 65] قال وعبادهم هم المؤمنون وقال الله في أية أخرى {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} [النحل: 100]. (55)

المطلب الثاني تفسير القرآن بالسنة النبوية

وله في تفسير القرآن بالسنة أساليب مختلفة منها:

أن يذكر التفسير النبوي للآية مباشرة مثل تفسيره لقوله تعالى {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} [البقرة: 238] فقد روى الطبري عن قتادة عن أبي حسان الأعرج عن عبيدة السلماني عن علي بن أبي طالب أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب: اللهم املأ قلوبهم وبيوتهم نارا، كما شغلونا - " أو كما حبسوننا عن الصلاة الوسطى حتى غربت الشمس وروى الطبري أيضا من طريق سعد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال [الصلاة الوسطى صلاة العصر]. (56)

وقد يفسر الآية بقوله ثم يستشهد على قوله بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومثال ذلك ما رواه الطبري في تفسير قوله تعالى {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الأنفال: 39] قال قتادة: فالدين بأن يقال لا إله إلا الله ثم قال قتادة: ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول [أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله]. (57)

المطلب الثالث تفسير القرآن بأسباب النزول

مثل قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج: 189]

قال قتادة: سألوا نبي الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك: لم جعلت هذه الأهلة؟ فأنزل الله فيها ما تسمعون: " هي مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ"، فجعلها لصوم المسلمين ولإفطارهم، ولمناسكهم وحجهم، ولعدة نسائهم ومحل دينهم في أشياء، والله أعلم بما يصلح خلقه. (58)

المطلب الرابع تفسير القرآن بالناسخ والمنسوخ

55 الطبري 12/10

56 الطبري 2/ 559

57 الطبري 2/ 195

58 الطبري 2/ 185

وقد توسع رحمه الله في القول بالنسخ حتى قال بالنسخ في آيات الأحكام والآيات الخيرية مثال النسخ في آيات الأحكام

قوله في تفسير قوله تعالى {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 115] قال: كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة، وبعد ما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا، ثم وجه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام. فنسخها الله في آية أخرى: {فَلَنُؤَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا إِلَيَّ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} [البقرة: 144] قال: فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من أمر القبلة. (59)

ومثال النسخ في الآيات الخيرية

قال قتادة في تفسير قوله تعالى: {وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [النحل: 67]

أما السَّكَّرُ: فخمور هذه الأعاجم، وأما الرزق الحسن: فما تنتبذون، وما تُخَلِّلُون، وما تأكلون، ونزلت هذه الآية ولم تحرم الخمر يومئذ، وإنما جاء تحريمها بعد ذلك في سورة المائدة. (60)

المطلب الخامس تفسير القرآن بالإسرائيليات

وهو مما يؤخذ على قتادة رحمه الله فبرغم من علو كعبه في التفسير إلا أنه كان يذكر الإسرائيليات فقد قال قتادة في قصة أيوب عليه السلام فيما أورد بن كثير في تفسيره عن قتادة قال: ابتلي أيوب (عليه السلام) سبع سنين وأشهرًا، ملقى على كناسة بني إسرائيل، تختلف الدواب في جسده، ففرج الله عنه، وأعظم له الأجر، وأحسن عليه الثناء. (61)

المطلب السادس تفسير القرآن بالقراءات

مثل قوله في تفسير قوله تعالى {وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوُّوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِزْقًا} [الكهف: 16] وهي في مصحف عبد الله بن مسعود (وما يعبدون من دون الله) وهذا تفسيرها. (62)

المطلب السابع تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين

59 الطبري 1/ 502

60 الطبري 14/ 136

61 أبو الغداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دبت: دار طبية للنشر

والتوزيع، الرياض، 1420، 3/ 190

62 الطبري 15/ 209

مثل قوله في تفسير قوله تعالى {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ} [الإسراء: 78] قد ذكر لنا أن ابن مسعود كان يصلّيها إذا وجبت وعندها يفطر إذا كان صائماً، ثم يقسم عليها قسماً لا يقسمه على شيء من الصلوات بالله الذي لا إله إلا هو، إن هذه الساعة لميقات هذه الصلاة، ثم يقرأ ويصلّيها وتصدقها من كتاب الله أقيم الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ. (63)

وتراه يروي عن الحسن البصري قوله في تفسير قوله تعالى: {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} أي لا تراء بها علانية ولا تخفها سرا [الإسراء: 110] (64)

المطلب الثامن تفسير القرآن باللغة العربية

مثل تفسير لقوله تعالى {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى} [طه: 6] بأن الثرى هو كل شيء مبتل. (65)

63 الطبري 15 / 226

64 الطبري 15 / 187

65 الطبري 16 / 139

الفصل الثاني: منهج التفسير الوعظي





المبحث الأول: تعريف بمصطلحات البحث

المطلب الأول: تعريف المنهج لغة واصطلاحاً

المنهج في اللغة: مشتق من (نَهَجَ) والنهج: هو الطريق كما قال ابن فارس في (مقاييس اللغة)⁶⁶ وزاد الراغب والأصفهاني في (المفردات في غريب القرآن) الطريق الواضح.⁶⁷

وجاء في المعجم الوسيط "نهج الطريق، يَنْهَجُ، نهجاً ونهوجاً: وَضَحَ واستبان. ونهج الإنسان الطريق: سلكه وبينه. وأنهج الطريق: وضح واستبان. والمنهاج: الطريق الواضح. قال تعالى: (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) [المائدة: 48]. والمنهاج والمنهج: الخُطّة المرسومة. ومنه: منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم، وجمع المنهج والمنهاج: مناهج."⁶⁸

وجاء في لسان العرب "أنه الطريق الواضح المسلك أو المتبع أو المأخوذ به أو المرسوم الذي لا تضل فيه الخطى."⁶⁹

وخلاصة القول: أن المنهج لغة: هو الطريق الواضح البين؛ ويستعمل في أمرين الأول استعمال مادي بمعنى الطريق الواضحة المستقيمة التي يستطيع الإنسان السير فيها بقدمه والاستعمال الثاني معنوي نظري يطلق على الخطة أو مجموعة القواعد التي يلتزم بها الباحث أو الكاتب في عرضه لبحثه أو كتابه، والذي يهمننا هنا هو الاستعمال النظري المعنوي.

المنهج اصطلاحاً: هو الطرق الواضحة في التعبير عن شيء، أو في عمل شيء، أو في تعلم شيء طبقاً لمبادئ معينة، بنظام معين بغية الوصول إلى غاية معينة.⁷⁰

وعند إضافة كلمة (التفسير) إلى المنهج فتصبح علماً على علم مناهج التفسير يكون تعريف منهج التفسير هو: الطريق المؤدي إلى كشف معاني القرآن.⁷¹

66 أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د. ت: دار الفكر-دمشق-1979م، 361/5.

67 أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ) المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي د. ت: دار القلم، الدار الشامية-دمشق-1412هـ مادة (نهج) 125.

68 أحمد حسن الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، د. ت: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1972م، 957/2.

69 ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت 711 هـ)، لسان العرب، د. ت: دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ، 383/2.

70 مراد وهبة، المعجم الفلسفي، د. ت: دار قباء الحديثة للطباعة والنشر، -القاهرة - 2007م، 628.

71 عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة-القاهرة-2012م، 341.

المطلب الثاني: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً

تعريف التفسير لغة: مأخوذ من الفسر بمعنى البيان والكشف، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: 33] والتفسير في اللغة مصدر على وزن "تفعيل"، والفعل الماضي من التفسير هو الرباعي "فسر"، يقال: فسر الشيء تفسيراً، والجذر الثلاثي للكلمة هو (ف.س.ر).⁷²

وقال الإمام أحمد بن فارس عن الفسر "الفسر كلمة تدل على بيان الشيء وإيضاحه. وجاء في لسان العرب عن الفسر: البيان، فسر الشيء يفسره بالكسر، ويفسره بالضم، فسراً، وفسره: أبانه، والتفسير مثله. والفسر كشف المغطى، والتفسر: البول الذي يستدل به على المرض، حيث ينظر فيه الأطباء فيستدلون به على علة المريض، وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو تفسرته، والتفسير: البيان، وهو كشف المراد عن اللفظ المشكل.⁽⁷³⁾ ومن الواضح أن معظم المفاهيم المعجمية لهذه المادة تدل على أن التفسير مشتق من مادة "ف.س.ر" وهي بمعنى البيان والإيضاح والكشف، وإزالة الإشكال، ولكن نجد أن هناك رأياً آخر لدى بعض علماء اللغة يقول إن التفسير: مقلوب من "سفر" ومعناه أيضاً: الكشف، يقال: سfert المرأة سفوراً إذا ألفت خمارها عن وجهها وهي سافرة، وأسفر الصبح: أضاء، وإنما بنوا "فسر" على التفعيل فقالوا "تفسير" للتكثير. وعند الراغب الأصفهاني: "الفسر (و) السفر (يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما لكن جعل "الفسر" لإظهار المعنى المعقول... وجعل "السفر" لإبراز الأعيان للأبصار، فقيل: سfert المرأة عن وجهها وأسفر الصبح."⁷⁴

ومما سبق يتبين أن المعنى اللغوي للتفسير على كلا الاشتقاقين يعود إلى الكشف، والإبانة، والإيضاح، وإظهار المعنى.

تعريف التفسير اصطلاحاً: عرفه العلماء بعدة تعريفات، نورد أبرزها:

عرفه الزركشي بقوله: علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد-صلى الله عليه وسلم-، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه.⁷⁵

وعرفه الزرقاني بقوله: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية.⁷⁶

72 الجرجاني التعريفات. 63.

73 ابن منظور، لسان العرب 55/5.

74 الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794 هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - 1376هـ.

148/1.

75 الزركشي البرهان في علوم القرآن 1/ 13.

76 الزرقاني مناهل العرفان 3/ 2.

كما عرّفه محمد الطاهر بن عاشور في مقدمة تفسيره "التحرير والتنوير" بقوله: "التفسير اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع".⁷⁷

ومما اتفقت عليه عبارات كثير من العلماء والباحثين المعاصرين كأمثال الشيخ مناع القطان (ت1420هـ) والدكتور مساعد الطيار ومن قبلهما الشيخ محمد بن عثيمين (ت1421هـ) أن التفسير هو بيان القرآن الكريم. فقد قال بن عثيمين التفسير: هو بيان معاني القرآن الكريم.⁷⁸ وقال القطان التفسير هو بيان كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم.⁷⁹

ولما كان الفهم سابقاً للبيان واستخراج الحكم والأحكام تابعان له؛ وكان فهم القرآن الكريم فهماً كاملاً وبيان معانيه بياناً تاماً واستخراج أحكامه وحكمه كاملاً أمراً قد لا يصل إليه كثير من المشتغلين بعلم التفسير وكل يأخذ منه ويرد عليه إلا النبي صلى الله عليه وسلم كان لا بد من الوضع في الاعتبار الطاقة البشرية ولذا يظهر للبحث أن تعريف علم التفسير هو: ما يُعرف به فهم كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه بقدر الطاقة البشرية.

المطلب الثالث: تعريف الوعظ لغة واصطلاحاً

تعريف الوعظ لغة: وردت مادة "و-ع-ظ" في المعاجم العربية القديمة والحديثة، فهي لفظة عربية شرعية مستعملة، يقول ابن فارس: وعظ "الواو والعين والطاء" كلمة واحدة فالوعظ: التخويف والعظة الاسم منه. وقال الخليل: هو التذكير بالخير وما يرق له القلب فهو عنده تذكير وتخويف.⁸⁰

وقال ابن منظور "وعظ: الوعظ والعظة والمَوْعِظَةُ: النُّصْح والتذكير بالعواقب؛ وقيل: هو تذكيرك للإنسان بما يُؤلِّن قلبه من ثواب وعقاب. وفي التنزيل: (فمن جاءه مَوْعِظَةٌ من ربه)؛ لم يجئ بعلامة التأنيث لأنه غير حقيقي أو لأن الموعظة في معنى الوعظ حتى كأنه قال: فمن جاءه وعظ من ربه، وقد وعظه وَعَظاً وَعِظَةً، وَاتَّعَظَ.⁽⁸¹⁾ فهو عنده: نصح وتذكير بالعواقب كما أنه الحجج الناهية عن اقتحام الحرمات وبصائر تضمنتها المواعظ الربانية.

فالوعظ في اللغة على ما سبق تذكير وتخويف ونصح وإرشاد وترقيق طبع وقلب.

77 ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984م، 1/11.

78 ابن عثيمين، محمد بن صالح، (ت1421هـ) أصول في التفسير، د. ت: دار بن الجوزية - المدينة المنورة، 1422هـ، 177.

79 الطيار، مساعد بن سليمان، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د. ت: دار بن الجوزي، الرياض 1422، 24.

80 أبو الحسين الرازي مقاييس اللغة، 126/6.

81 ابن منظور، لسان العرب، 466/7.

تعريف الوعظ اصطلاحاً: عرف الأصفهاني الوعظ: بأنه زجر مقترن بالتخويف؛⁸² ويؤيد هذا التعريف ما ذكره الطبري بسنده عن عمر بن الخطاب ذاكراً سبب نزول قوله تعالى {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ} [التحریم:5] حيث قال عمر بن الخطاب "بلغني عن بعض أمهاتنا، أمهات المؤمنين شدة على رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأذهن إياه، فاستقرت بهن امرأة امرأة، أعظها وأنهاها عن أذى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأقول: إن أبيتن أبدله الله خيراً منك، حتى أتيت، على زينب، فقالت: يا ابن الخطاب، أما في رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟ فأمسكت، فأنزل الله (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ)⁸³

وجاء عنه أيضاً أنه التذكير بالخير فيما يرق له القلب. وهو ما قاله الجرجاني أيضاً.⁸⁴

وعرفه صديق حسن خان فقال: علم المواعظ هو علم يعرف به ما هو سبب الإنزجار عن المنهيات والانزعاج إلى المأمورات من الأمور الخطابية المناسبة لطباع عامة الناس.⁸⁵

ويظهر للبحث أن التعريف الأخير هو التعريف المرتضى لأنه تضمن الغرض والطريقة والمادة والأثر. والغرض والأثر يمكن التعبير عنهما بأنه القول الذي يرقق القلوب القاسية، ويهدي الله به النفوس الشاردة، ويحرك الناس نحو عواقبهم في الآخرة فيزدجروا عن الشر ويقبلوا على الخير أما التعريفين السابقين فهما مادة العلم وبضاعة الواعظ التي ترقق بها القلوب القاسية؛ ويهدي الله بها النفوس الشاردة؛ وتحرك الناس نحو عواقبهم في الآخرة فيزدجروا عن الشر ويقبلوا على الخير.

المطلب الرابع: تعريف الأسلوب والتأصيل لغة واصطلاحاً

الأسلوب لغة: جاء في لسان العرب أن كلمة أسلوب تقال للسطر من النخيل، وكلُّ طريقٍ ممتدٍّ، فَهُوَ أُسْلُوبٌ.

حيث قال: "الأسلوبُ الطَّرِيقُ، والوجهُ، والمذهبُ؛ يُقَالُ: أَنْتُمْ فِي أُسْلُوبٍ سُوءٍ، وَيُجْمَعُ أُسَالِيبٌ. وَالْأُسْلُوبُ: الطَّرِيقُ تَأْخُذُ فِيهِ. وَالْأُسْلُوبُ، بِالضَّمِّ: الْفَنُّ؛ يُقَالُ: أَخَذَ فُلَانٌ فِي أُسَالِيبٍ مِنَ الْقَوْلِ أَيْ أَفَانِينَ مِنْهُ؛ وَإِنَّ أَنْفَهُ لَفِي أُسْلُوبٍ إِذَا كَانَ مُتَكَبِّراً؛"⁸⁶

ويتناول الزبيدي مادة سلب فيقول: "سلبه الشيء يسلبه سلباً كإختلاسه إياه، ومن المجاز سلبه فؤاده وعقله، ويجمع على أساليب، وقد سلك أسلوبه أي طريقته، وكلامه على أساليب حسنة، ومن

82 الراغب الأصفهاني المفردات في غريب القرآن، 827.

83 الطبري، 488/23.

84 الجرجاني، التعريفات 308.

85 أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت 1307هـ) أبجد العلوم، د. ت: دار ابن حزم 1423هـ، 532.

86 ابن منظور لسان العرب، 473/1.

المجاز الأسلوب الشموخ في الأنف".⁸⁷ ويقول الزمخشري: سلك أسلوب فلان أي طريقته وكلامه على أساليب حسنة.⁸⁸

الأسلوب اصطلاحاً: هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه أو هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم كذلك. وهو ما يتفق مع قوله الزمخشري.⁸⁹ وعلى هذا يكون الأسلوب هو الشكل الذي يظهر من خلاله المنهج أو هو التطبيق العملي للمنهج

تعريف التأصيل لغة واصطلاحاً: الأصل لغة: أسفل كُلِّ شَيْءٍ وَجَمْعُهُ أَصُولٌ، وتقول أَصْلَ الشَّيْءِ أَي: صَارَ ذَا أَصْلٍ؛ وأصلت الشيء جعلت له أصلاً،

وَيُقَالُ: إِنَّ النِّخْلَ بَارِضُنَا لِأَصِيلٍ أَي هُوَ بِهِ لَا يَزَالُ وَلَا يَفْنَى. وَرَجُلٌ أَصِيلٌ: لَهُ أَصْلٌ. وَرَأْيٌ أَصِيلٌ: لَهُ أَصْلٌ. وَرَجُلٌ أَصِيلٌ: ثَابِتُ الرَّأْيِ عَاقِلٌ، وَاسْتَأْصَلَ اللَّهُ بَنِي فُلَانٍ إِذَا لَمْ يَدْعُ لَهُمْ أَصْلًا.⁹⁰

الأصل اصطلاحاً: قال الجرجاني: عبارة عما يبنى عليه غيره، ولا يبنى هو على غيره، والأصل: ما يثبت حكمه بنفسه ويبنى عليه غيره.⁹¹

المبحث الثاني: تعريف التفسير الوعظي وضوابطه وأهميته

المطلب الأول: تعريف منهج التفسير الوعظي

وبعد أن ذكر البحث تعريف علم التفسير وعلم الوعظ كل بمفرده نستطيع أن نقول أن مصطلح التفسير الوعظي كمركب إضافي من كلمتي التفسير والوعظ: (هو طريقة يعتمد فيها المفسر عند كشفه لمعاني القرآن الكريم على الأمور الخطابية المناسبة لطباع عامة الناس، ويهدف بها ترقيق القلوب القاسية، وهداية النفوس الشاردة، ويحرك الناس بها نحو عواقبهم في الآخرة فيزدجروا عن الشر ويقبلوا على الخير).

شرح التعريف

87 محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، د. ت: المجلس الوطني للثقافة والفنون - الكويت-1422هـ، 71/3.
88 أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت538هـ) أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، د. ت: دار الكتب العلمية، بيروت -1419هـ.

89 الزرقاني مناهل العرفان في علوم القرآن، 303/2.

90 ابن منظور لسان العرب، 16/11.

91 الجرجاني، علي بن محمد (ت816هـ)، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت - 1403هـ، 28.

كلمة طريقة: تعني الشيء أو الأسلوب الكاشف عن منهج الإنسان سواء كان مفسراً أو غير مفسر، وجملة (يعتمد عليها المفسر عند كشفه لمعاني القرآن الكريم) خصصت الطريقة بأنها طريقة في التفسير إذ القائم بها هو المفسر والهدف منها فهم معاني القرآن الكريم، وهذا يشمل كل أنواع التفسير، وجملة (على الأمور الخطابية المناسبة لطباع عامة الناس) تُخرج التفسير البياني والتفسير التحليلي والتفسير الفقهي فهي مناسبة لبعض الناس وغير مناسبة لبعض آخر. على ما سيأتي عند الحديث عن الفرق بين التفسير الوعظي وغيره من التفاسير الأخرى، وجميعها لا يُستعمل فيها أساليب الخطابة التي تستهدف التأثير على المتلقي، وجملة (يهدف بها... الخ) تُبين الهدف الذي يتميز به التفسير الوعظي عن غيره من التفاسير الأخرى ويخرج بها التفسير الموضوعي لأنه يهدف إلى تقرير وجهة نظر القرآن الكريم في قضية معينة.

وقد استقر البحث على ها التعريف لأن المفسر الوعظي عندما اعتمد في كشفه لمعاني القرآن الكريم على الأمور الخطابية وحدد هدفه من استخدامه لهذا المنهج الذي هو ترقيق القلوب وهداية الناس إلى رب العالمين وتطبيق القرآن الكريم في حياة الناس قد وافق تعريف المنهج بصفة عامة حيث ذكر الطريقة والهدف منها كما في التعريف، ووافق أيضاً تعريف منهاج المفسر حيث ذكر سبب اختياره هذه الطريقة وهو كشف معاني القرآن الكريم، وذكر الأمور الخطابية لأنها أساليب الوعظ مثل استخدام النداء والقسم في الترغيب والترهيب... الخ، وذكر الهدف من استخدام هذه الطريقة وهذه الأساليب وهو ترقيق القلوب القاسية، وهداية النفوس الشاردة.... الخ، وهو ما يتفق مع الهدف من الموعظة بشكل عام. والحمد لله رب العالمين.

المطلب الثاني: ضوابط منهج التفسير الوعظي وأهميته

المقصد الأول: ضوابط التفسير الوعظي

في البداية: لا بد أن نعرف أن التفسير الوعظي هو تفسير بالرأي (تفسير بالدراية) لأنه يعتمد على الأمور الخطابية المناسبة لعامة الناس والأمور الخطابية مثل (الاستفهام والنداء والقسم والأمر... الخ) تحتاج إلى استعمال العقل لاختيار الأسلوب الأمثل المناسب لعامة الناس،

لذا يجب أن يكون التفسير الوعظي مطابقاً تماماً للضوابط التي وضعها علماء التفسير حتى يكون التفسير بالرأي مقبولا وهي:

1- ألا يكون النص التفسيري صادراً عن هوي في نفس المفسر أو تأييداً لمذهبه فإن فعل هذا أصبح التفسير تبعاً لمذهبه وعقيدته. والأصل العكس.

2- ألا يتعارض هذا التفسير مع اللغة، فإن اللغة هي الأساس قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [يوسف: ٢]

3-ألا يتعارض التفسير مع سياق الآيات الكريمة.

4-ألا يخالف ما صح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا يخالف مقررات الأحاديث الصحيحة.

5-ألا يخالف في تفسيره آيات قرآنية أخرى أو مقررات آيات أخرى.

ويضيف البحث الى هذه الضوابط العامة (للتفسير بالرأي) ضوابط أخرى حتى يصبح التفسير تفسيراً وعظياً وهي:

الأول: أن يظهر في النص التفسيري سمات الخطاب الوعظي، وهي الأمر والنهي كوسيلة يظهر بهما دفع المتلقي للتفسير للفعل أو الترك.

وبالنسبة للأمر والنهي فقد يكون النص التفسيري الوعظي لا يحتوي الصيغتين الحرفيتين (افعل ولا تفعل) ولكنها في مجمل سياقها أمر أو نهي أو أمر ونهي (حث على الخير وتحذير من الشر)، فالمفسر الواعظ مثلاً حين يتحدث عن صفة من صفات الظالمين ويصورها ويبين عاقبة المتصفين بهذه الصفة، فهو بهذا يقدم (نهياً) غير مباشر عنها ويستخدم قوة الدفع نحو الترك بالترهيب العاجل والآجل. ومثل هذا في القرآن الكريم كثير مثل قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [البقرة:114] فهي تحمل النهي لأولئك الذين يمنعون أن أتقوم المساجد بوظيفتها ومهمتها. وحين يقدم تفسيراً وعظياً يوضح فيه صفات المؤمنين ومآلهم وأجرهم العظيم، فإنه يقدم (أمرأ) غير مباشر عن طريق الإغراء للعمل بأخلاقهم والاتصاف بصفاتهم وهنا تكمن قوة الدفع بالأمر. وهذا ما نجده واضحاً في القرآن الكريم عن ذكره لصفات المؤمنين في سورة المؤمنون في قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11)}

الثاني: أن يظهر في النص التفسيري سحر التأثير.

والمقصود بسحر التأثير: هو التأثير الوجداني الذي يمكن أن نعرفه ونتحقق منه من خلال مشاهد البكاء أو فيضان الدموع أو الإقبال الشديد على المفسر)، أو من خلال ما يجده المتلقي في داخله من خوف

القلب وحضوره وخشوعه أو سرور القلب وفرحه، أو من خلال تأثير بعيد المدى يكون فيما بعد بتعديل السلوك من السلب للإيجاب أو التدرج من الحسن للأحسن.⁹²

الثالث: أن يظهر في النص التفسيري أساليب الترغيب والترهيب مع التركيز على مواطن العبرة والعظة.⁹³

الرابع: أن يكون التفسير الوعظي صادر ممن توفرت فيه الشروط من صحة الاعتقاد وحسن النية والإلمام بالعلوم المطلوبة، وتمكن من أساليب الخطاب، وهو ما سيأتي الحديث عنه عند الحديث عن نماذج التفسير الوعظي عند قتادة السدوسي-رحمه الله-فيما بعد إن شاء الله تعالى.

الخامس: أن يكون المفسر الوعظي عالماً ببلاغة اللغة العربية. لمعرفة ألوان وأفنان البلاغة القرآنية المعجزة في علم البيان والمعاني والبدیع وخصائص التعبير القرآني والتصوير الفني للقرآن وهذا لما للكلمة من تأثير في النفس البشرية، ويزداد هذا التأثير إذا تنوع أسلوب المفسر الواعظ وهذا لا يكون إلا إذا تمكن المفسر الواعظ من أساليب التعبير القرآني وعلم البيان وعلم البديع وعلم المعاني، ولا يخفى على أحد أن الوقوف على أسلوب واحد لا يشبع النفس البشرية ولا يحدث فيها أثراً جيداً.

وبالجملة فإن المفسر الواعظ لا يحدث تأثير إلا إذا تمكن من المجاز الذي من شأنه أن يقرب البعيد ويبعد القريب، ويصور الحسي في صورة المعنوي والمعنوي في صورة الحسي، وتمكن من التشبيهات بطرائقها المختلفة وما يلحق بها من ضرب الأمثال. ونظم النظم على مقتضى المعاني النحوية في سياق الجمل على هيئة مخصوصة من تقديم وتأخير وذكر وحذف وغير ذلك. معتمداً في هذا على الجمل القصيرة غالباً ذات القرع والإيقاع المؤثر على السمع. مستخدماً الجمل الخبرية والجمل الإنشائية بنوعيهما، فهي أقدر على مخاطبة الوجدان واستثارة العواطف. مع الاستشهادات والتضمينات من القرآن والسنة وبلغ الكلام شعراً ونثراً.

يقول بن القيم مشيراً إلى أهمية هذه العلوم: ومن وقف متأملاً في القرآن وما فيه من الكناية والاستعارة والتجوز، عرف موقع الفصاحة من القلوب.⁹⁴

السادس: أن يكون النص التفسيري مشتملاً على أكثر من أسلوب من أساليب الخطاب في اللغة العربية مثل الأسلوب الخبري والالتفات والتكرار والأمثال والقصة والقصر والحصص والإيجاز والإطناب والأمر والنهي والاستفهام، والتمني، والنداء، والتعجب، والمدح، والذم وغيرها من أساليب الخطاب

92 عبد الله بن رفود السفياني؛ الخطاب الوعظي مراجعة نقدية لأساليب الخطاب ومضامينه، (دراسة استطلاعية)، مركز نماء للبحوث والدراسات-قطر-2014م،

72.

93 عبد الله السفياني؛ الخطاب الوعظي مراجعة نقدية لأساليب الخطاب ومضامينه، 76.

94 ابن الجوزي كتاب القصص والمنكرين، 361.

البلاغي التي سوف نذكرها مع التمثيل فيما سيأتي عند الحديث عن نماذج التفسير الوعظي عند قتادة السدوسي.

حيث أنه لا خلاف على أن المداومة على أسلوب واحد في الخطاب يدعو إلى الملل والسآمة ويفقد المفسر الوعظي غرضه من التفسير وهو التأثير في المتلقي، وجذب انتباه السامعين. فإذا اجتمعت هذه الضوابط في النص التفسيري للآية نستطيع أن نقول عنه تفسيراً وعظياً.

المقصد الثاني: أهمية التفسير الوعظي

إن علم التفسير عموماً يستمد شرفه من كتاب الله عز وجل؛ لتعلقه ببيان معانيه، وأحكامه وجكمه. وقد كان صحابة النبي – صلى الله عليه وسلم – يحضون على التدبر والعلم في القرآن الكريم حتى أن بن مسعود – رضي الله عنه – كان يقول: والذي لا إله غيره ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيما نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم مني بكتاب الله تناله المطايا لأتيته، وكان يحدث كيف كانوا يتعلمون القرآن فقال كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن. وقال سعيد بن جبير – رضي الله عنه – من قرأ القرآن ثم لم يفسره كان كالأعمى. وأما ما جاء عن سعيد بن المسيب أنه كان يقول. لا أقول شيئاً في القرآن. وقاتدة السدوسي أيضاً كان يقول أنا لا أقول في القرآن برأي. (95) فهذه الأقوال التحذيرية محمولة على القول في القرآن بدون علم. لأنه روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير فقد تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه وهذا هو الواجب على كل إنسان، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم للإنسان به كذلك يجب القول فيما يسأل عنه مما يعلمه عملاً بقوله تعالى {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ} [آل عمران: 187] وعملاً بالحديث الذي ذكره الحاكم وصححه الألباني عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلَيْهِ ثُمَّ كَتَمَهُ أَجَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلَجَامٍ مِنْ نَارٍ).⁹⁶

وكذلك موضوع التفسير الوعظي هو كلام الله -تعالى: الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة. وهو في هذا يعمل على إظهار خفيات ما أودعه الله من أسرار في كتابه، وغرضه في هذا، التمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا فناء لها ولذا، كان التفسير الوعظي فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين وإن لم يقم به أحد أثم الجميع. ونذكر هنا بعض من فوائد التفسير الوعظي.

95 الطبري، 79/1.

96 أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، د. ت: دار الكتب العلمية، كتاب العلم، (344)

– بيروت - 1411هـ - 306/1.

1-التفسير الوعظي كغيره من أساليب التفسير الأخرى هدفه تحقيق الغاية من إنزال القرآن الكريم، وهي الاسترشاد بتعاليمه ونظمه الحكيمة، ليحصل بها التذكر والاعتبار، ومعرفة هداية الله في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، والعمل بها ليفوز الأفراد والجماعات بخير العاجلة والآجلة.

2-التفسير الوعظي تفسير فيه حياة وروح لأنه يعتمد على أساليب الخطاب الوعظي (التي سوف يأتي الحديث عنها عند ذكر النماذج) فالمفسر مثلاً ينادي على المتلقي للتفسير فيستشعر المتلقي أن الكلام موجه له وحده كأنما بينهما تواصل مما يجعل التفسير الوعظي أقوى في إحداث تغيير في حياة المتلقي من غيره من مناهج التفسير الأخرى.

3-التفسير الوعظي يعمل على تليين القلوب وخشوعها، ويحدث أثراً في نفوس المتلقين، وخاصة التأثير الوجداني الذي يمكن أن يقاس من خلال مشاهدة، البكاء، أو فيضان الدموع، أو من خلال شعور المتلقي الداخلي من حضور القلب، وخشوعه وخوفه، أو فرحه وسروره، وما يسمى بالتأثير اللحظي، أو من خلال التأثير بعيد المدى، الذي يكون بتعديل السلوك من السلب للإيجاب، أو التدرّج من الحسن للأحسن.

4-التفسير الوعظي يؤدي إلى تعميق الإيمان في نفوس الناس وهدايتهم إلى الحق والخير وصرفهم عن الضلال والشر، وهو عملية يراد بها نقل القلب من حال الغفلة إلى التذكر، ومن حال الشك والتردد إلى الإيمان العميق، كما قال تعالى {يَعْظُمُ لِعَلَّكُمْ تَذَكُّرُونَ} [النحل: ٩٠].

ويؤكد بن القيم أن الهدف من خطب النبي-صلى الله عليه وسلم -وكذا الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين - (التي هي في غالب الأحيان كانت تفسيراً وعظياً للقرآن الكريم كما سيأتي) كان هو التأثير بعيد المدى فيقول: "كانت خطبته صلى الله عليه وسلم إنما هي تقرير لأصول الإيمان من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب من خطبته إيماناً وتوحيداً ومعرفة بالله وأيامه. ومن تأمل خطب النبي الله - صلى الله عليه وسلم-وخطب أصحابه، وجدها كفيلاً ببيان الهدى والتوحيد وذكر صفات الرب وأصول الإيمان الكلية والدعوة إلى الله وذكر آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه، وأيامه التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يحببهم إليه، فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه، ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحببهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم".⁹⁷

6-التفسير الوعظي مناسب للناس كافة حيث يمتاز بالإيجاز والاختصار، وتبسيط العبارة، دون التطرق إلى تفاصيل القضايا الفقهية الخلافية، ولا ينتشعب إلى المذاهب الفقهية، بل تذكر الخلاصة بإيجاز،

97 شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (ت1438هـ) تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، (ت:1425هـ)، د. ت: الرسالة - بيروت-1996م، 409/1.

وكذلك لا تُبسّط فيه القضايا اللغوية والنحوية والبلاغية، ولا يُتطرق فيه إلى القراءات القرآنية. بل يركز على المعنى المجمل الميسر، ويسلّط الضوء على العبرة والعظة، ويحث النفوس على الالتزام والطاعة. لذا فإن التفسير الوعظي تفسير مناسب للناس كافة، خاصتهم وعامتهم، متعلمهم وجاهلهم، ومثقف الفكر منهم ومن دونه في الثقافة، وهذا الأمر لا تجده في كتب التفسير الأخرى التي شحنت بالآراء الفقهية وقضاياها، وحُشدت فيها المسائل المتشعبة، واحتوت على مصطلحات علمية لا يعيها إلا أهل الاختصاص. إضافة إلى اللغة الصعبة التي كتبت بها بعض كتب التفسير مما يجعل العامة من المتلقين يحتاجون إلى من يفسر لهم كلام المفسر وهو ما لا تجده في التفسير الوعظي.

7- إن كثيراً من كتب التفسير تُعبر عن العلم الذي برع فيه المفسر والذي غلب عليه، فالمفسر يخاطب فئة معينة، وفي المقابل نجده يغض الطرف، ويغفل عن الشرائح الأخرى من المجتمع، وخاصة الشريحة الأكبر في المجتمع وهي شريحة العوام التي هي السواد الأعظم، وإغفال العوام مناف جملته وتفصيلاً لخطاب الشرع ومقاصده، وخصائصه الشمولية والعالمية، فالتفسير الوعظي يساهم في دعوة عوام الناس بطريقة سلسلة ميسرة بعيدة عن التعقيدات والتفاصيل المرهقة. ليصل بالناس أن يكونوا قرأناً يمشي على الأرض، قوم دينهم النصيحة خلقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قوم إذا غاب أحدهم تفقدوه، وإذا مرض عادوه، وإذا افتقر ساعدوه، وإذا استعان أعانوه، قوم دينهم النصيحة وخلقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه صفات المجتمع الذي يحب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. ويحبهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

8- اهتمام التفسير الوعظي بمقاصد القرآن الكريم وفي مقدمتها الهداية إلى الله الحق، وإلى توحيده، وبيان ما أَراده الله تعالى،

وإظهار وعده لمن أخذ بالقرآن وتبشيره بحسن المثوبة ووعيده لمن لم يأخذ به وإنذاره بسوء العقوبة والوعد يشمل ما للأمة وما للأفراد وكذلك الوعيد، وكذا العبادة التي تحي التوحيد في القلوب وتثبتته في النفوس، بيان سبيل السعادة الموصل إلى نعيم الدنيا والآخرة وكيفية السير فيه، وذكر قصص من وقف عند حدود الله تعالى وأخذ بأحكام دينه وأخبار الذين تعدوا حدوده ونبذوا أحكام دينه ظهرياً من أجل الاعتبار واختيار طريق المحسنين ومعرفة سنن الله في البشر.

لذا نستطيع أن نقول إن التفسير الوعظي بمثابة استدعاء للقرآن الكريم في حياة المسلمين بعد أن تقلصت مساحات حضوره بشكل كبير في حياة المسلمين الآن.

9- التفسير الوعظي يدل الناس على خالقهم ويفتح باب التوبة لهم ويغض لهم معصية الله ويحببهم في طاعته لذا المرابطة على هذا المنهج من مناهج التفسير هو رباط في سبيل الله "فالمتكلفون بالعلوم كالمتكلفين بالثغور والمرابطين بها"⁹⁸

المطلب الثالث: الفرق بين منهج التفسير الوعظي والمناهج الأخرى للتفسير

المقصد الأول: الفرق بين التفسير الوعظي والتفسير البياني

التفسير البياني: "هو: الذي يُبين أسرار التركيب في التعبير القرآني. وفيه تنصب العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية البيانية كالتقديم والتأخير، والذكر والحذف، واختيار لفظة على أخرى، والتعريف بسمو ألفاظه، وسعة معانيه، وانتلافها وعدم اختلافها، وتناسب الألفاظ والمعاني وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير".⁹⁹

فحظ المتلقي للتفسير البياني من فهم هذا النوع من التفسير يكون بقدر فهمه لعلم البيان وما يتعلق به، وهو لا غنى عنه لأهل العلم، وقد يطول فيه الشرح، ويحتاج عوام الناس من يبسط لهم هذا النوع من التفسير. بعكس التفسير الوعظي الذي يمتاز بأنه يسهل على عوام الناس فهمه فضلاً عن أهل العلم، ويمتاز أيضاً بالإيجاز والاختصار والتركيز على مواطن العبرة والعظة، والتركيز على مواطن التكليف في الآية الكريمة. وقد يحتاج التفسير البياني إلى التفسير الوعظي عند بيان العبرة والعظة من التقديم والتأخير والذكر والحذف.

المقصد الثاني: الفرق بين التفسير الوعظي والتفسير الموضوعي

تنوعت عبارات المتخصصين وكثرت أقوالهم في التعريف الاصطلاحي للتفسير الموضوعي، وأكثرها لم تكن جامعة ولا مانعة، وكان بعضها بياناً للمنهج أو شرحاً له أكثر من كونها تحديداً للمفهوم، وفيما يلي ذكر بعضها:

التفسير الموضوعي: هو بيان ما يتعلق بموضوع من موضوعات الحياة الفكرية أو الاجتماعية أو الكونية من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصده.

وقيل: هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر.¹⁰⁰

بتعبير أبسط هو ما يتناول فيه المفسر موضوعاً معيناً من القرآن الكريم بشكل كامل، بحيث تجمع الآيات المرتبطة بموضوع معين وتفسرها في سياق واحد. فهو يعالج قضية واحدة فقط. فهو عند جمعه

98 أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، د.ت: دار المعرفة بيروت، كتاب العلم، الباب الخامس في آداب المتعلم والمعلم 1/ 153،

99 فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، د.ت: جامعة الشارقة، الإمارات، عام 1423هـ، 7/1.

100 مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، د.ت: دار القلم-دمشق-2000م، 16.

للآيات الخاصة بهذه القضية لا يراعي السياق القرآن، وقد يتطلب ذكر الآراء المختلفة والمذاهب المختلفة في هذه القضية والترجيح بينها، والهدف منه مخاطبة أصحاب القضية موضوع التفسير.

بعكس التفسير الوعظي الذي يخاطب عامة الناس أصحاب القضية وغيرهم ترغيباً وترهيباً مع مراعاته للسياق القرآني للآيات، ولا يذكر اختلاف الآراء والمذاهب المختلفة في الآية.

المقصد الثالث: الفرق بين التفسير الوعظي والتفسير التحليلي

وفي تعريف التفسير التحليلي: قال الدكتور عبد الستار سعيد: "هو الذي يتبع فيه المفسر ترتيب المصحف، فيشرح جملة من الآيات أو سورة، أو القرآن كله، ويبين ما يتعلق بكل آية من مناسبتها، وسبب نزولها، ومفرداتها، ونحو ذلك مما يتقرر به معناها".¹⁰¹

وعليه نستطيع أن نقول أن التفسير التحليلي: هو منهج من مناهج دراسة النص القرآني دراسة تفصيلية يقوم فيه المفسر ببيان معاني الكلمات القرآنية، وبيان أسباب النزول، وبيان المناسبة بين الآيات والسور، ومكان نزول الآيات والسور، وبيان النسخ والمنسوخ، وبيان القراءات القرآنية، وبيان القضايا البلاغية، واللطائف القرآنية، وبيان الأوجه النحوية، وبيان الأحكام الفقهية وأقوال العلماء فيها، وبيان المعنى العام، وبيان ما يستفاد من النص، وهي كلها أمور مهمة لفهم النص القرآني وهي تخاطب كل فئات الناس غير أنها تخاطب كل فئة بما يناسبها. بعكس التفسير الوعظي الذي يخاطب كل فئات المجتمع بأسلوب واحد ولا يدخل في التفاصيل ولا يذكر الأوجه النحوية ولا يطيل في ذكر الأحكام الفقهية بل يذكرها في إطار الأمر بالفعل أو النهي عن الفعل، وهو قد لا يستغني المفسر التحليلي عن التفسير الوعظي عند بيانه للطائف الوعظية في النص القرآني وبيان ما يستفاد من النص في إطار ما يهدف إليه من بيان الحقيقة العلمية فقط. بعكس المفسر الوعظي الذي يستخدم اللطائف الوعظية لإثارة العاطفة عند المتلقي ودفعه على العمل بواجبات وتكاليف النص القرآني.

المقصد الرابع: الفرق بين التفسير الوعظي والتفسير الفقهي

التفسير الفقهي: هو التفسير الذي يُعنى فيه بدراسة آيات الأحكام، وبيان كيفية استنباط الأحكام منها".¹⁰²

فهو يعتمد فيه المفسر على جمع آيات الأحكام وذكر المسائل الفقهية المتعلقة بها والتفصيل فيها وذكر آراء العلماء والمذاهب فيها وقد يرجح بين الآراء وهو ما لا غنى لأهل العلم عنه، غير أنه يصعب على كثير من عوام الناس فهمه.

101 عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، د.ت: دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1411هـ، 16.

102 محمد لطفي الصباغ، لمحات في علوم التفسير، د.ت: المكتب الإسلامي-بيروت-1990م 325.

بعكس التفسير الوعظي الذي يعنى بدارسة آيات الأحكام وغيرها من آيات القرآن الكريم غير أنه لا يذكر الآراء الفقهية، ويتعامل مع آيات الأحكام من حيث إثارة العاطفة نحو الفعل أو الترك ويسهل فهمه على جميع فئات المجتمع خاصة فئة العوام من الناس.

المقصد الخامس: الفرق بين التفسير الوعظي والتفسير الإشاري

يتضح الفرق بينهما من تعريف التفسير الإشاري الذي يفهم منه أنه تفسير ينظر إلى باطن النص بعكس التفسير الوعظي الذي يتعامل مع ظاهر النص.

قال الزرقاني (ت 1367هـ): "التفسير الإشاري: هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضاً".¹⁰³

والذي يعنينا هنا قوله هو تأويل القرآن بغير ظاهره. بعكس التفسير الوعظي الذي يتعامل مع ظاهر النص.

التفسير الإشاري قد لا يراعى فيه السياق بعكس التفسير الوعظي لابد فيه من مراعاة السياق وبالمثال يتضح المقال.

قال القشيري في قوله تعالى: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) [غافر: 19] حيث قال: "فخائنة أعين المحبين استحسانهم شيئاً، ومن خائنة أعينهم أن تأخذهم السنة والسبات في أوقات المناجاة؛ وقد جاء في قصة داود عليه السلام: كَذَبَ مَنْ ادَّعَى محبتي، فإذا جَنَّهُ الليل نام عني، ومن خائنة أعين العارفين أن يكون لهم خبر بقلوبهم عما تقع عليه عيونهم، ومن خائنة أعين الموحدين أن تخرج منها قطرة دمع تأسفاً على مخلوق يفوت في الدنيا والآخرة، ولا على أنفسهم يقطرون".¹⁰⁴

فالقشيري هنا حمل معني الخيانة على عمومها دون النظر إلى سياق الآيات قبلها المتحدثة عن يوم القيامة على العكس من قتادة يقول في تفسيرها (خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ): أي يعلم همزه بعينه، وإغماضه فيما لا يحب الله ولا يرضاه.⁽¹⁰⁵⁾ فهو يخبر أن الله يعلم كل ما فعله الإنسان وهو محاسب عليه في هذا اليوم الذي تكون فيه القلوب لدى الحناجر من شدة الخوف وهو يوم ليس للظالمين فيه صديق ولا شفيع، والله جل جلاله في هذا اليوم يقضي في الذي خانته الأعين، وأخفته الصدور.

المطلب الرابع: مميزات التفسير الوعظي

تميز التفسير الوعظي عن غيره من مناهج التفسير الأخرى بعدد من المميزات نذكر منها:

103 الزرقاني مناهل العرفان، 56/2.

104 عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت 465هـ) لطائف الإشارات د. ت: الهيئة المصرية العامة للكتاب-مصر-2000م، 303/3.

105 الطبري 370/21.

1-تنوع أساليب الخطاب في التفسير الوعظي بين المفسر والمتلقي مما يجعل العلاقة بين المفسر والمتلقي دائمة لا تنقطع.

2-سهولة العبارة حيث أنه يخاطب عوام الناس فهو يُراعي أن الناس في الفهم درجات وأن الضعيف أمير الركب.

3-عباراته قصيرة وواضحة حيث تختصر عبارته المعنى المراد شرحه في الآية مما يساعد المتلقي على الفهم السريع مما يجعله أكثر تأثير في المتلقي من غيره من مناهج التفسير الأخرى.

4-التفسير الوعظي يعتمد إلى شرح المعنى القريب والمباشر للآية وإظهار مواضع العبرة والعمل في الآية.

5-إنه تفسير يركز على القيم والسلوكيات والأخلاق فيدعوا إلى العمل بالجيد منها وترك القبيح وبالجمل هو يركز على الواجب العملي في الآية بشكل مباشر.

6-التفسير الوعظي تجد فيه المفسر يراعي حال ومقام السامعين فتجده يفسر الآية الواحدة بأكثر من أسلوب بمعنى آخر التفسير الوعظي يذكر المعنى الواحد للآية بأكثر من أسلوب فالمعنى واحد والأساليب مختلفة طبقاً لحال المستمعين كما فعل قتادة-رحمه الله-في تفسير قوله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة:188] على ما سيأتي في نماذج التفسير الوعظي.

7-التفسير الوعظي يحتاج إليه التفسير الموضوعي إذا به يؤكد المفسر الموضوعي وجهة نظره في الموضوع إيجاباً أو سلباً، ويحتاج إليه التفسير التحليلي لإجمال ما تم تفصيله، ويحتاج إليه التفسير الفقهي للترجيح بين الآراء، وهو يحتاج إلى التفسير البياني لأنه وسيلته في توصيل المعنى الوعظي الموجود في الآية إلى الناس.

المبحث الثالث: التفسير الوعظي في صدر الإسلام

المطلب الأول: اهتمام القرآن بالموعظة

قال الإمام الطبري -رحمه الله-: أن الله قد حثَّ عباده على الاعتبار بما في القرآن الكريم من المواعظ بقوله جل ذكره: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ

ذِي عَوْجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الزمر: 27، 28]، وما أشبه ذلك من آيات القرآن، التي أمر الله عباده، وحثهم فيها على الاعتبار بأمثال القرآن، والاتعاظ بمواعظه.¹⁰⁶

وقال بن عطية عند تفسير قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ} [يونس: 57]، هذه الآية خاطب الله بها جميع العالم، والموعظة: هي القرآن؛ لأن الوعظ إنما هو بقول يأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، ويزجر ويرقق، ويؤعد ويعد، وهذه صفة الكتاب العزيز. فما في القرآن من الأوامر والنواهي داعٍ إلى كلٍّ مرغوب، وزاجرٍ عن كلٍّ مرهوب.

وصور الله الموعظة التي هي كلمات وكأنها قد تجسدت وصار لها مجيء (جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ) وأراد الله -تعالى- بذلك أن يعطى للموعظة صورة الحركة التي تؤثر في أصحابها، وتأخذ بأيديهم إلى الإيمان والعمل الصالح. وليبين أهميتها وقيمتها، وحث البشر على الاحتراف بها، حيث أنها قادمة من عنده سبحانه، ومن لطفه سبحانه أنه أخبر أنها قادمة من عنده بلفظ الربوبية وليس بلفظ الألوهية وذلك أن الرب هو من خلق الإنسان الموعوظ، وصوّره في أحسن صورة، وأغدق عليه من رزقه، ودفع عنه ما يضره، وعلمه ما ينفعه، فمن أسدى هذا الخير للإنسان، فحري به أن يكون رحيماً به، محسناً إليه، فإذا وعظه فإنما يعظه لمصلحته، بدفعه إلى ما ينفعه، وردّه عما يضره. فيا أيها الإنسان، ربك الذي خلقك ورزقك وأنعم عليك يعظك، فحري بك أن تقبل موعظته، وموعظته هي القرآن، فاقبل القرآن، وأقبل عليه بقلب يعي ما فيه، ويتأثر به، ويتدبره، ويدعن لما فيه، ويطبقه.¹⁰⁷

ولقد ورد لفظ الموعظة في القرآن مرات عديدة، نذكر بعضاً منها:

قال تعالى: {إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [هود: 46]،

وقال: {قُلْ إِنَّمَا أَعْظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ} [سبأ: 46]،

وقال: {لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا} [الأعراف: 164]،

وقال: {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ} [البقرة: 231]،

وقال: {إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ} [النساء: 58]،

وقال: {يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: 90]،

وقال: {يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ} [النور: 17]،

¹⁰⁶ الطبري 80/1.

¹⁰⁷ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت542هـ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقق: عبد السلام عبد

الشافعي محمد، د. ت: دار الكتب العلمية - بيروت-1422هـ 494/4.

وقال: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ} [لقمان:13]،

وقال: {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ} [النساء:63]،

وقال: {فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ} [النساء:34]،

وقال: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تُوَعِّظُونَ بِهِ} [المجادلة:3]،

وقال: {ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [البقرة:232]،

وقال: {ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [الطلاق:2]،

وقال: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعِظُونَ بِهِ} [النساء:66]،

وقال الله تعالى: {قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ} [الشعراء:136]،

وقال: {فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة:66]،

وقال: {فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ} [البقرة:275]،

وقال: {ذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} [آل عمران:138]،

وقال: {وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ} [المائدة:46]،

وقال {وَكُتُبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً} [الأعراف:145].

وقال: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ} [يونس:57]،

وقال: {وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ} [هود:120]،

وقال {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} [النحل:125]،

وقال: {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ} [النور:34].

وإن في تعبير القرآن الكريم عن الموعظة بكل هذه الصيغ ما يؤكد على أهمية الموعظة، ويجعلنا نسلك في إثبات وجود (التفسير الوعظي) في صدر الإسلام المسلك المعتمد لدى علماء التفسير حين اتفقوا على أن أحسن الطرق لتفسير كتاب الله -تعالى- على الترتيب: هي تفسير القرآن بالقرآن ثم تفسير القرآن بالسنة ثم تفسير القرآن بأقوال الصحابة ومن بعدهم بأقوال التابعين ثم تفسير القرآن باللغة العربية ثم استنباط معانيه ودلالاته وحكمه وأحكامه.

ولما كان هذا هو الطريق المعتمد لأنه يعصم من الزلل في تفسير القرآن، كان أيضا هو الطريق المعتمد لدى البحث في التأصيل (للتفسير الوعظي) عسى الله أن يعصمنا من الزلل.

المطلب الثاني: التفسير الوعظي للقرآن الكريم بالقرآن الكريم

إن أحسن طريق يسلكه المفسر في تفسير القرآن الكريم هي تفسير القرآن بالقرآن كما قال: شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؛ فالجواب: أن أصح الطرق في ذلك أن يُفسر القرآن بالقرآن؛ فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر.¹⁰⁸

وقال ابن القيم: ومن أبلغ التفاسير وأعلاها تفسير القرآن بالقرآن.¹⁰⁹

وقد ذكر الشنقيطي إجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، حيث لا أحد أعلم بمعنى كلام الله عز وجل من الله عز وجل.¹¹⁰

ولذا سنذكر بعضاً من الأمثلة للدلالة على بيان القرآن للقرآن بأسلوب وعظي.

المثال الأول: قال تعالى: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} [الفاتحة:5] فقد فُسِّرَ الْمُنْعَمُ عَلَيْهِمْ بقوله تعالى {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء:69] قال ابن عباس: طريق من أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من الملائكة والنبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، الذين أطاعوك وعبدوك، وقال الطبري: قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: اهدنا يا ربنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، بطاعتك وعبادتك، من ملائكتك وأنبيائك والصدّيقين والشهداء والصالحين. وذلك نظير ما قال ربنا جل ثناؤه في تنزيله {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء:69].¹¹¹

إن القرآن الكريم يعبر عن الذين أنعم الله عليهم بما يستجيش كل قلب، فيه ذرة من خير؛ وفيه بذرة من صلاح وفيه بقية من التطلع إلى مقام كريم في صحبة كريمة، في جوار رب العالمين. وهذا يعد من قبيل التفسير الوعظي، لأنه استخدم صيغة الدفع الغير مباشر التي ذكرت سابقاً في شروط التفسير الوعظي، وترى هذا في قوله تعالى: (وحسن أولئك رفيقا) وهذه الصحبة لهذا الرهط العلوي. إنما هي من فضل الله. (الذين أنعم الله عليه) فما يبلغ إنسان بعمله وحده ولا بطاعته وحدها أن ينال هذه الصحبة. إنما هو الفضل الواسع الغامر الفائض العميم. وقال فيض بن إسحاق: سمعت الفضيل بن عياض، وقد سأله عبد الله بن

108 تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت728هـ)، مقدمة في أصول

التفسير، د. ت: دار مكتبة الحياة-بيروت-1400هـ، 39.

109 محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت752هـ) التبيان في أقسام القرآن، تحقيق: محمد حامد الفقي، د. ت: دار المعرف-بيروت-185.

110 محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت1393هـ) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت

– 1415هـ / 1 / 3.

111 الطبري، 177/1.

مالك: يا أبا علي ما الخلاص مما نحن فيه؟ قال: أخبرني، من أطاع الله هل تضره معصية أحد؟ قال: لا. قال: فمن يعصي الله هل تنفعه طاعة أحد؟ قال: لا، قال: هو الخلاص إن أردت الخلاص.¹¹²

وقال أيضاً: أعزنا بجز الطاعة ولا تذلنا بذل المعصية.¹¹³

المثال الثاني: قال تعالى: {فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [البقرة:37] فقد ذكر القرآن في سورة الأعراف ما هي هذه الكلمات حين قال الله تعالى: {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف:23] ذكر هذا الطبري بسنده عن قتادة السدوسي والحسن البصري وأبي العالية.¹¹⁴

أخبر الله تعالى عن أبينا آدم -عليه السلام- قوله الذي لقاه الله تعالى عليه، معرفاً جلّ وعلا ذكره، جميع المخاطبين بكتابه، كيف تكون التوبة إليه من الذنوب، وأن خلاصهم مما هم عليه الضلالة، هو مثل خلاص أبيهم آدم من خطيئته في قوله وحواء عليهما السلام: يا ربنا فعلنا بأنفسنا من الإساءة إليها بمعصيتك، وخلاف أمرك، وبطاعتنا عدوك فيما لم يكن لنا أن نطيعه فيه، ما نستحق به عقوبتك، وإن لم تغفر لنا وترحمنا بتعطّفك علينا، وتركك أخذنا به: [لنكوننّ من الخاسرين]: لنكوننّ من الهالكين.

ويقول بن كثير في البداية والنهاية عن هذا الأسلوب القرآني في عرض الكلمات التي ألفاها الله تعالى إلى آدم وحواء عليهما السلام. ما يؤكد أنها تعد من قبيل التفسير الوعظي فيقول رضي الله عنه: (وهذا اعتراف، ورجوع، وإنابة، وتذلل، وخضوع، واستكانة، وافتقار إليه تعالى، وهذا السرّ، ما سرى في أحد من ذريته إلا كانت عاقبته إلى خير في دنياه وأخراه).¹¹⁵

المثال الثالث: قال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (136) {

يقول صاحب الظلال:

112 الذهبي سير أعلام النبلاء، 427/8.

113 أبو نعيم حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 112/8.

114 الطبري، 543/1.

115 أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت774هـ) البداية والنهاية، د. ت: السعادة - القاهرة-1939م، 184/1.

"والتعبير هنا يصور أداء هذه الطاعات في صورة حسية حركية. ويصوره سباقاً إلى هدف أو جائزة تُنال: (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم)، (وجنة عرضها السماوات والأرض) سارعوا فهي هناك حيث: المغفرة والجنة (أعدت للمتقين).

ثم يسوق في نهاية هذه الآيات ما يؤكد أن التعبير القرآني يصور أداء الطاعات في صورة حسية حركية فيقول: فهم ليسوا سلبيين بالاستغفار من المعصية. كما أنهم ليسوا سلبيين بالإنفاق في السراء والضراء، وكظم الغيظ والعفو عن الناس إنما هم عاملون. (ونعم أجر العاملين) المغفرة من ربهم، والجنة تجري من تحتها الأنهار بعد المغفرة وحب الله. فهناك عمل في أغوار النفس، وهناك عمل في ظاهر الحياة. وكلاهما عمل، وكلاهما حركة، وكلاهما نماء.¹¹⁶

إن في عرض وتوضيح القرآن الكريم للطاعات وبيان صفات المتقين في صورة حسية حركية وعظمية من باب الترغيب في فعل الطاعات ما يعزز الإيمان في القلوب ويهدي إلى طريق الفلاح والنجاح ويشرح الصدور ويعصم المسلم في دينه ودنياه من الزلل. وهو من قبيل التفسير الوعظي لاشتماله على أسلوب الترغيب.

المثال الرابع: قال تعالى: في سورة الواقعة {وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً} [آية:7] فقد ذكر الأزواج الثلاثة مُجْمَلًا في الآية الكريمة، وجاء بيان الأزواج الثلاثة مُتَّصِلًا في الآيات اللاحقة؛ إذ قال -تعالى- بعدها: {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ [8] وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ [9] وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ [10] أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ [11]}.

يقول صاحب الظلال: "ونجد الناس هنا أصنافاً ثلاثة، لا صنفين اثنين كما هو السائد في مشاهد الاستعراض القرآنية، ويبدأ بالحديث عن أصحاب الميمنة، أو أصحاب اليمين، ولكنه لا يفصل عنهم الحديث إنما يصفهم باستفهام عنهم للتهويل والتضخيم: فأصحاب الميمنة. ما أصحاب الميمنة؟ وكذلك يذكر أصحاب المشأمة بنفس الأسلوب. ثم يذكر الفريق الثالث، فريق السابقين، يذكرهم فيصفهم بوصفهم: والسابقون السابقون. كأنما ليقول إنهم هم هم. وكفى. فهو مقام لا يزيده الوصف شيئاً".⁽¹¹⁷⁾

فالاستفهام هنا لم يرد على حقيقته، وهو طلب الفهم أو الاستفهام عن أصحاب الميمنة؛ بل تجاوز هذا المعنى اللغوي الظاهر لإفادة معنى آخر هو التعجب؛ لأنه من الأمور التي تدعو إلى التعجب، فقد دل على وصفهم بشيء لا يمكن وصفه، ولا يفي به التعبير بعبارة غير ما جاءت عليه، وهذا هنا هو سر

116 سيد قطب (ت1385هـ) في ظلال القرآن، دار الشروق-القاهرة-1412، 475/1.

117 سيد قطب، في ظلال القرآن، 6/3463.

جمالية أسلوب الاستفهام وبلاغته أنه ترك للمتلقي الفرصة لأن يتصور صفاتهم، ويتدبر حالهم فيما لو رغب في ذلك. وهذا من قبيل التفسير الوعظي.

ولنا في بيان ألوان المفاز الذي فاز به المتقون في سورة النبأ، في قوله تعالى: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (31) ثُمَّ بَيْنَ هَذَا الْمَفَازِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (32) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (33) وَكَاسًا دِهَاقًا (34) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا (35) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (36) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (37) } ما يجعل العبد يُقَدِّمُ مراد الله عز وجل على مراد نفسه وهواها، وتجعله يحرص على تحقيق التقوى في جميع أقواله وأفعاله وما ذلك إلا تفسيراً وعظياً.

الأمثال في القرآن الكريم من أساليب التفسير الوعظي:

إن تشبيهات القرآن جميعها أمثال مضروبة لفهم مراد الله عز وجل بخطابه لعباده، ولقد صرّف الله تعالى في القرآن الأمثال للناس؛ زيادةً في التأكيد والتفصيل والإيضاح، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) [الكهف: 54].

وجاء في أضواء البيان للشنقيطي (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا)؛ أي: أوردنا كثيراً من تصريف الأمثال بعبارات مختلفة، وأساليب متنوعة في هذا القرآن للناس؛ ليهتدوا إلى الحق ويتعظوا، فعارض الناس بالجدل والخصومة، والمثل: هو القول الغريب السائر في الآفاق، وضرب الأمثال كثيراً في القرآن جداً.¹¹⁸

وقال الماوردي: وللأمثال عند التحدث إلى الآخرين موقع في الأسماع، وتأثير في القلوب، لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها، ولا يؤثر تأثيرها؛ لأن المعاني بها لائحة، والشواهد بها واضحة، والنفوس بها وائمة، والعقول لها موافقة، فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز، وجعلها من دلائل رسله، وأوضح بها الحجة على خلقه، لأنها في العقول معقولة، وفي القلوب مقبولة.¹¹⁹

ويقول "الشيخ السعدي": "في ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور:

التذكير، والوعظ، والحث، والاعتبار، وتقريب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس، وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره.¹²⁰

118 الشنقيطي أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 299/3.

119 الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت450هـ)، أدب الدنيا والدين، د. ت: دار مكتبة الحياة، 1986م، 275.

120 عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، د. ت: مؤسسة الرسالة.

بيروت-1420هـ، 3.

وقال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ} [الأعراف: 175]

وفي هذه الآية مثال واضح للإنسان الذي ينحرف عن الفطرة السوية، وينقض عهده الله، وينكص عن آيات الله بعد النظر فيها والعلم بها ... ذلك الإنسان آتاه الله آياته، وخلع عليه من فضله، وأعطاه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع، ولكنه انسلك من هذا كله، وانحرف عن الهدى لاتباع الهوى، والتصق بالأرض وأغراضها فاستولى عليه الشيطان، وطرد من حمى الرحمن، وأصبح ممسوخا كالكلب يلهث إن طُورِد، ويلهث إن لم يُطارد.¹²¹

ومن الأمثلة على هذا تفسير قوله تعالى {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: 7] بقوله تعالى {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل: 112]

القصة في القرآن الكريم من أساليب التفسير الوعظي:

وخاصة عندما تكون القصة جاءت بياناً وتوضيحاً لأمر أو حكم أو بشارة أو تحذير، ومثال ذلك ما ذكر في سورة الحجر من قوله تعالى: {نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْعَفْوَ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} [الحجر: ٤٩ - ٥٠] ثم ذكر القرآن قصتين بين وفصل فيهما هذا الوعد وهذا الوعيد، فبدأ أولاً بقصة إبراهيم عليه السلام للبشارة بسلام غلام عليم، ثم ذكر إهلاك قوم لوط، لاقترافهم جريمة فاحشة ما سبقهم بها أحد من العالمين فقال تعالى: {وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ (٥٢) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّمَا لِمَنِ الْغَابِرِينَ (٦٠) فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِنَّاتِكُ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَآتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٦) وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠) قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا

121 مصطفى ديب البغا محيي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، د. ت: دار العلوم الإنسانية - دمشق - 1418هـ، 302.

عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَیْسَیْلٌ مُّقِیمٌ (٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآیَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) {سورة الحجر}

كما ذكر قصة ذبح إبراهيم عليه السلام لولده إسماعيل عليه السلام في معرض البيان عن شدة البلاء حيث قال تعالى: {إن هذا لهو البلاء المبين} [الصافات:106]

ومما يؤكد أن القصة من أساليب التفسير الوعظي للقرآن الكريم ما قاله صاحب الظلال مبينا الهدف من عرض القصة في القرآن: إن القرآن لا يعرض الحوادث عرضا تاريخيا مسلسلا بقصد التسجيل، إنما هو يعرضها للتربية واستنباط العبرة واستخلاص القيم الكامنة وراء الحوادث، ورسم سمات النفوس، وخلجات القلوب، وتصوير الجو الذي صاحبها، والسنن الكونية التي تحكمها، والمبادئ الباقية التي تقررها، وبذلك تصبح الحادثة محورا أو نقطة ارتكاز لثروة ضخمة من المشاعر والسمات، والنتائج والاستدلالات، يبدأ السياق منها ثم يستطرد حولها، ثم يعود إليها، ثم يجول في أعماق الضمائر، وفي أغوار الحياة، ويكرر هذا مرة بعد مرة، حتى ينتهي برواية الحادث إلى نهايتها وقد ضم جناحيه على حقل من المعاني والدلائل والقيم والمبادئ، لم تكن رواية الحادث إلا وسيلة إليها، ونقطة ارتكاز تتجمع حواليتها.¹²²

أنه قد وضح من الأمثلة السابقة أن أول من بيّن وفسر القرآن الكريم بأسلوب يغلب عليه طابع الوعظ هو القرآن الكريم نفسه ولا سيما أنه سما القرآن نفسه بالموعظة كما قال بن عطية عند تفسيره قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ} [يونس:57] كما سبق وأن ذكرنا، والموعظة غالباً لا يعبر عنها إلا بأسلوب وعظي. ولا سيما أن القرآن اعتمد أسلوب القصة وأسلوب ضرب الأمثال وأسلوب الاستفهام وأسلوب الترغيب والترهيب في تفسير وبيان مراد الله تعالى وغيرها من الأساليب وهي من الأساليب الداعية الي أخذ العبرة والعظة لترقيق القلوب القاسية وهداية النفوس الشاردة ودفع الناس ليعملوا من أجل الآخرة. وهذا هو الهدف من التفسير الوعظي للقرآن الكريم.

المطلب الثالث: التفسير الوعظي في السنة النبوية

يُعَدُّ رسول الله -صَلَّى الله عليه وسلَّم- المرجع الأول من البشر في فهم آيات القرآن الكريم، وبيان معاني مفرداته، لا سيما أنه مُؤَيَّدٌ بالوحي فهو الذي قال تعالى: فيه {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} [النجم:29] وهو المكلف من قبل الله تعالى ببيان القرآن الكريم للناس، وتوضيح ما أنزل إليهم من الأوامر والنواهي، والوعد والوعيد، كما جاء في قوله -تعالى-: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٤٤]

122 سيد قطب، تفسير الظلال، 468/1.

وقال بن تيمية فإن أعيانك تفسير القرآن بالقرآن فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ} وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا { [النساء: ١٠٥]، وقال تعالى: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ} وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ { [النحل: ٦٤] ، ولهذا قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: " ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه " يعني السنة. والسنة أيضا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن باتفاق العلماء. (123)

وقد أمر الله تعالى النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يعظ المنافقين حيث قال تعالى: {عِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا} [النساء: 63]، كما أمره بالوعظ بالقرآن حيث قال تعالى: {فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ} [الذاريات: 45].

والذي يخصنا هنا هو ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم مما يصلح أن يطلق عليه تفسير وعظيا للقرآن الكريم وهو على نوعين الأول ما يعد تفسيراً وعظياً مباشراً، الثاني تفسير وعظياً غير مباشر.

أولاً التفسير الوعظي المباشر: وهو ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيه الآية والموعظة قبلها أو بعدها، والشواهد والأمثلة على هذا كثيرة نذكر منها:

المثال الأول: تفسير سورة الفاتحة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمَدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً فَوْضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. رواه مسلم.¹²⁴

فها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر في هذا الحديث القدسي ما يرغب الناس جميعاً في قراءة سورة الفاتحة مذكراً بما يجب على العبد نحو ربه من الشكر، وصحة الاعتقاد، والثناء على الله تعالى بما هو أهله، مشيراً إلى ما ينبغي أن يكون بين العبد وربّه من أشياء أو أعمال يستطيع أن يتوسل بها إلى الله تعالى في تحقيق مراده. كل ذلك وغيره من معاني الترغيب مستخدماً فيه أسلوب الخبر ليصور السورة

123 ابن تيمية، مقدمة أصول التفسير، 40.

124 أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح (صحيح مسلم) تحقق: محمد ذهني أفندي -إسماعيل بن عبد الحميد الحافظ الطرابلسي- وآخرون، د. ت: دار الطباعة العامة - تركيا 1334 هـ كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (395).

كلها بأنها حوار بين العبد وربّه. بين القوي الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وبين الضعيف الذي لو سُلط الله عليه بعوضة ما استطاع أن ينجوا منها. فأين من يرغب في الحديث مع ربّه.

المثال الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) [المؤمنون: 51] وَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) [البقرة: 172].

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ رواه مسلم.¹²⁵

ها هو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يستخدم أسلوب النداء على الناس جميعاً كما في رواية الترمذي – يا أيها الناس-مرغباً الناس جميعاً في ربهم فسبحانه طيب في ذاته وطيب في صفاته وطيب في أسمائه وطيب في أفعاله وكونه كذلك لا يجعل الإنسان يستطيب الحرام فليس كونه طيباً أنه يتجاوز لعباده عن الحرام وليس أدل على هذا من أنه أمر المرسلين بأن يأكلوا حلالاً ويعملوا صالحاً وتذكره -صلى الله عليه وسلم- للمؤمنين بأنهم في التكليف مثل الأنبياء ترغيباً لهم وبيانا لأفضليتهم إن فعلوا ما يوعظون به وترهيباً للعصاة وتحذيراً لهم. فلن يكون أحد أكرم على الله تعالى من رسله الذين خصهم بحمل رسالته سبحانه وتبليغها إلى الناس جميعاً. ثم يقول صلى الله عليه وسلم لمن ظن أعماله الصالحة من حج وغيره ستشفع له في استجابة الدعاء أنك يا هذا واهم أسأت الظن بربك مستخدماً أسلوب التكرار لكلمة "يا رب وكلمة حرام" في قوله -صلى الله عليه وسلم- (يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟) – والاستفهام الذي غرضه استبعاد الاستجابة لمن أكل الحرام. وهذا يعد من قبيل التفسير الوعظي.

المثال الثالث: عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَوْعِظَةٍ فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء: 104] أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلْقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَلَا وَإِنَّهُ سَيَجَاءُ بِرَجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَخَذْتُوا بِعَدِّكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ} إِلَى قَوْلِهِ: (الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

125 مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها رقم (1015).

[المائدة: 117، 118] فَيَقَالُ لِي: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ " متفقٌ عليه. واللفظ للبخاري. ¹²⁶

إن قول عبد الله بن عباس رضي الله عنه (: قَامَ فِيْنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَوْعِظَةٍ) يذكر صراحة أن تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) وبيانه العملي لموقفه يوم القيامة مع العصاة محذرا لهم من سوء العاقبة وأنه لن يغني عنهم صلى الله عليه وسلم من الله شيئا بأنه سوف يقول يوم القيامة كما قال العبد الصالح عيسى عليه السلام كما جاء في القرآن الكريم (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، إِنَّ تَعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَعْفُو لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ). كان تفسيراً وعظياً.

المثال الرابع: عن عقبة بن عامر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يَحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ؛ ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} [الأنعام: 44]، (أخرجه الإمام أحمد في مسنده. ¹²⁷

ها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظ أولئك المستدرجين بإحسان الله لهم، والمغرورين بستر الله عليهم. أن إحسان الله لهم وستره عليهم وهم على ما هم عليه من المعصية ليس من باب الحب لهم ولا العطاء لهم. إنما هو من باب الاستدراج. أي يأخذهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم ويضاعف العذاب لهم. ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية مذكرا بفعل الله تعالى بمن أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم وأنه فتح عليهم أبواب الرزق في كل ما يختارون حتى إذا فرحوا بما أُتوا من الأموال والأولاد والأرزاق جاءهم عذاب الله على حين غفلة فأيسوا من كل خير. مستخدما صلى الله عليه وسلم أسلوب الشرط لجذب الانتباه.

المثال الخامس: نقل السيوطي في الدر المنثور ما أخرجه ابن حبان، وابن مردويه عن ابن عباس قال : خرج أبو بكر في الهجرة إلى المسجد فسمع عمر فخرج فقال لأبي بكر : ما أخرجك هذه الساعة قال : ما أخرجني إلا ما أجد في نفسي من حاق الجوع، قال عمر : والذي نفسي بيده ما أخرجني إلا الجوع فبينما هما كذلك إذ خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال : ما أخرجكما هذه الساعة فقالا : والله ما أخرجنا إلا ما نجد في بطوننا من حاق الجوع فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : والذي بعثني بالحق ما أخرجني غيره فقاموا فانطلقوا إلى منزل أبي أيوب الأنصاري فلما انتهوا إلى داره قالت امرأته : مرحبا

¹²⁶ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، الجامع الصحيح، د. ت: دار ابن كثير، دار اليمامة-دمشق-1414هـ كتاب الرقاق، باب كيف الحشر رقم (6526).

¹²⁷ أحمد بن حنبل (ت241هـ) مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - وآخرون، د. ت: مؤسسة الرسالة، 2001 م مسند الشاميين حديث عقبة بن عامر الجهني عن النبي

صلى الله عليه وسلم، 3856/7.

بنبي الله وبمن معه، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : أين أبو أيوب فقالت امرأته : يأتيك يا نبي الله الساعة، فجاء أبو أيوب فقطع عذقا فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- ما أردت أن تقطع لنا هذا ألا اجتيت من تمره قال : أحببت يا رسول الله أن تأكلوا من تمره ورطبه وبسره، ثم ذبح جديا فشوى نصفه وطبخ نصفه فلما وضع بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم أخذ من الجدي فجعله في رغيف وقال : يا أبا أيوب أبلغ بهذا فاطمة فإنها لم تصب مثل هذا منذ أيام فذهب به أبو أيوب إلى فاطمة، فلما أكلوا وشبعوا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (خبز ولحم وتمر وبسر ورطب ودمعت عيناه والذي نفسي بيده إن هذا لهو النعيم الذي تسألن عنه، قال الله : {ثم لتسألن يومئذ عن النعيم} [التكاثر:8] فهذا النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة، فكبر ذلك على أصحابه، فقال : (بلى إذا أصبتم مثل هذا فضربتكم بأيديكم فقولوا : باسم الله فإذا شبعتم فقولوا : الحمد لله الذي هو أشبعنا وأنعم علينا وأفضل فإن هذا كافف لها.¹²⁸

وفي هذه الرواية نرى تأثر الواعظ قبل تأثر الموعوظ ونرى رسول الله يؤكد ما قاله بالقسم لكيلا يستحقر أحد نعم الله عليه ولا يستقلها ويعلم أنه مسؤول عن كل ما أعطاه الله تعالى. فليتقي الله فيما أعطاه وليؤدي شكر نعم الله عليه، ونرى أيضا استغلال الواعظ المتمكن للوقت والمكان والحدث.

المثال السادس: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرؤوا إن شئتم: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ} [محمد: 22، 23]؛ متفق عليه. وفي رواية للبخاري: ((فقال الله تعالى: مَنْ وصلك، وصلته، وَمَنْ قطعك قطعته)). رواه مسلم. (129)

والنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث يفسر الآية ويخبر أن الله سبحانه وتعالى تكفل للرحم بأن يصل من وصلها، ويقطع من قطعها، وفي هذا الحديث حث وترغيب في صلة الرحم، فإذا أردت أن يصلك الله فصل رحمتك، وإذا أردت أن يقطعك الله فاقطع رحمتك، جزاء وفاقا، وكلما كان الإنسان لرحمه أوصل، كان الله له أوصل، وكلما قصر جاءه من الثواب بقدر ما عمل، ولا يظلم ربك أحدا.

المثال السابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزميه

128 جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالماثور، دت: دار الفكر - بيروت-1432هـ، 615/8.

129 مسلم، كتاب البر والصلة والآداب باب صلة الرحم، وتحريم قطيعتها (2554).

-يعني بشدقيه-ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا: (لا يحسبن الذين يبخلون) " الآية [آل عمران: 108]
رواه مسلم.¹³⁰

في هذا الحديث أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من أعطاه الله مالاً ثم لم يخرج زكاته صور الله له ماله الذي لم يؤدّ زكاته يوم القيامة مثل الثعبان ذاكرة أنه لا شعر له في رأسه؛ لكثرة سُمِّه وطول عمره، له زبدتان في شدقيه، أو له نكتتان سوداوان فوق عينيه، وهو أوحش ما يكون من الحيات وأخبثه، تُجعل هذه الحية طوقاً في عنقه يوم القيامة، ثم تأخذ الحية بجانب فمه وتخطبه ليزداد غصّة وتهكّم عليه، فتقول: أنا مالك، أنا كنزك الذي لم تخرج زكاته، ثم تلا عليه الصلاة والسلام: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} والله مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [آل عمران: 180] الآية، بعد أن صور المشهد في أبشع صورة من باب الزجر والتخويف.

المثال الثامن: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن: 60] وَقَالَ " هَلْ تَذَرُونَ مَا قَالَ رَبِّكُمْ؟ " قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ " يَقُولُ هَلْ جَزَاءُ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ إِلَّا الْجَنَّةُ. "

ثم علق بن كثير قائلاً: وَلَمَّا كَانَ فِي الَّذِي ذَكَرَ نِعَمَ عَظِيمَةٍ لَا يُقَاوِمُهَا عَمَلٌ بَلْ مُجَرَّدُ تَفَضُّلٍ وَامْتِنَانٍ.
قال بعد ذلك كله: {بِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.¹³¹

وفي هذا الحديث ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يُشوق أصحابه بصورة الاستفهام لما فيها من تنبيه، وإثارة نفسية لتقبل المعلومات والنفس الإنسانية تستجيب للإثارة، فقد أراد أن يشوق الصحابة في ذكر هذه الحقيقة لهم، وأن يجعلهم يتلهفون شوقاً إلى معرفة ماذا قال ربهم.

المثال التاسع: ومن التفسير الوعظي للنبي صلى الله عليه وسلم وقوفه صلى الله عليه وسلم على كلمة الخيرات في قوله تعالى: {وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا} فَاسْتَنْفُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: 148] حيث وقف النبي صلى الله عليه وسلم على (الخيرات)، والجملة (أين ما تكونوا) تعليل لما قبلها، وفيها حث على الاستباق، بالترغيب والترهيب. فمعنى هذا: إن الوقف إشارة إلى الاستباق من غير علة الرغبة والرغبة، وهذه هي الدرجة العليا، أما التعليل فيناسبه

130 مسلم، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة (1403).

131 تفسير ابن كثير، 505/7.

الوصل، وهي درجة دون تلك الدرجة فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يشير بالوقوف إلى الرغبة في أعلى درجات الإخلاص، دون أن يمنع الوصل والإشارة إلى الدرجة الأخرى به.¹³²

التفسير الوعظي الغير مباشر من النبي صلى الله عليه وسلم: وهو أن يذكر في كلامه صلى الله عليه وسلم ما يصلح أن يكون تفسيراً وعظياً للآية. وقلنا عنه أنه تفسير غير مباشر لسببين:

الأول: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد بكلامه آية معينة من الآيات، فيكون تفسيراً مباشراً.

الثاني: أن تفسير الآية بحديث النبي صلى الله عليه وسلم هو أمر من عمل المفسر المجتهد في ربط معنى الحديث بالآية وجعله الحديث تفسيراً للآية. وقد درج المفسرون على هذا الأسلوب من قديم.

والأمثلة على هذا كثيرة نذكر منها الآتي

قال الله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [النساء: 36].

عن أبي هريرة (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رَغِمَ أَنْفٌ ثَمَ رَغِمَ أَنْفٌ ثَمَ رَغِمَ أَنْفٌ قِيلَ مِنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَنْ أَدْرَكَ أَبُويهِ عِنْدَ الْكَبَرِ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ).¹³³

النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث كأنه يدعو عليه بذلك، رَغِمَ أَنْفُهُ يَعْنِي: بِمَعْنَى أَنَّهُ يَكُونُ ذَلِيلًا صَاغِرًا. مَنْ أَدْرَكَ أَبُويهِ عِنْدَ الْكَبَرِ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ. وَأَيُّ مَصِيبَةٍ أَكْبَرَ عَلَى الْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ مِنْ أَنْ يَسْتَشْعِرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو عَلَيْهِ وَهَذَا قِمَّةُ الزَّجْرِ وَالتَّخْوِيفِ كَيْ يَمْتَنَعَ الْمُسْلِمُ عَنْ عَقُوقِ الْوَالِدَيْنِ وَهَذَا مِنْ قِبَلِ التَّفْسِيرِ الْوَعْظِيِّ الْغَيْرِ مُبَاشَرٍ لِلآيَةِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} [الفرقان: 72].

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِنًا، فَقَالَ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ». ¹³⁴

رسول الله صلى الله عليه وسلم استخدم في هذا الحديث الاستفهام ولغة الجسد والتكرار لشرح وبيان حُرمة قول الزور وشهادة الزور.

استخدم الاستفهام لتنبيه الحاضرين ولجذب أسماعهم وقلوبهم ثم ذكر الشرك وعقوق الوالدين ثم جلس بعد أن كان متكئا في إشارة واضحة الي أهمية التالي بعد الشرك وعقوق الوالدين فكانت قول الزور

132 عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، هداية القاري في تجويد كلام الباري، د.ت: مكتبة طيبة للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، 2005. 379.

133 مسلم: باب البر والصلة والآداب رقم (2551).

134 البخاري: كتاب الشهادات باب ما قيل في شهادة الزور. رقم (2654).

وكررها حتى تمنى الحاضرون أنه سكت مما يجعل المفسر الذي يربط بين الآية والحديث يستطيع أن يعتبر هذا الحديث من قبيل التفسير الوعظي الغير مباشر للآية من النبي صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: {قَتَلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [البروج 4:8]

روى الإمام مسلم عن صهيب أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلِمُهُ السِّحْرَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعْلِمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرًّا بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرَ أَفْضَلَ أَمِ الرَّاهِبَ أَفْضَلَ. فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فَأَقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ. فَرَمَاهَا فَفَقَلَّتْهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بُنْيَ، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَذُلْ عَلَيَّ. وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهِدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي. فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَأَمِنْ بِاللَّهِ فَشَفَاكَ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي. قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بُنْيَ، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمُنْشَارِ فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: ادْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ. فَدْهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمِ شَيْئٍ. فَارْجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ. فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: ادْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْفُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاقْدِفُوهُ. فَدْهَبُوا بِهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمِ شَيْئٍ. فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّقِينَةُ فَعَرَفُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ. فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: نَجْمُ النَّاسِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جَذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فِي كَيْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ

قَتَلْتَنِي. فَجَمَعَ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِدْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ. فَقَالَ النَّاسُ: أَمَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، أَمَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، أَمَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ. فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ، قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ. فَأَمَرَ بِالْأَخْذِ فِي أَقْوَاهِ السِّكِّكِ فَحُدَّتْ، وَأَضْرَمَ النَّيِّرَانَ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ اقْتَحِمْ. فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمِّهِ، اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ.» (135)

وقد سبق الحديث عن فوائد القصة في الموعظة.

ما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يعظ أصحابه:

فعن العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -مَوْعِظَةً دَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةٌ مُودِعٌ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: " قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنَهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّينَ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ حَيْثُمَا انْقَبَدَ انْقَادًا. 136

تلك المواعظ التي تذرّف منها العيون، وتوجل منها القلوب، وتخشع لها الجوارح، وتجيش منها المشاعر وتلهبها، لا شك أنها تحتوي على آيات القرآن، وخاصة الآيات التي ذكرت الآخرة، والساعة وأهوالها، والقيامة وأحوالها. وحينما تكون الآيات في سياق الوعظ، بذلك يكون تفسيرها تفسيراً وعظياً. وهذا تفسيراً وعظياً غير مباشر بالنظر في الأمثلة السابقة وغيرها مما لا يتسع المقام لذكرها.

إن الناظر في الروايات السابقة يجد أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- استخدم الأسلوب الخبري في الحكاية عن ربه في ترغيبه للناس في قراءة سورة الفاتحة، وأن تحذير النبي صلى الله عليه وسلم للعصاة الذين أعطاهم الله من خشاش الأرض فظنوا أن الله تعالى أحبهم مخبراً أن الأمر ليس كما يظنون. وقسمه -صلى الله عليه وسلم- للصحابه رضي الله عنهم -بعد أن فاضت عيناه بالدمع أنهم مسؤولون عن هذا النعيم. وترغيبه صلى الله عليه وسلم في صلة الرحم مذكراً بأن صلة الرحم جالبة لأعظم النعم في الدنيا والآخرة وهي الصلة بالله تعالى والعكس صحيح لمن قطعها. وزجره صلى الله عليه وسلم لمن لا يخرج زكاة ماله مصوراً له ماله هذا الذي من أجله امتنع عن أداء حق الله فيه بصورة ثعبان ملتف حول رقبتة ينادي عليه ويقول أنا مالك أنا كنزك، ليزيد من حسرته على تفريطه في أمر الله تعالى وعدم إخراج

135 مسلم: كتاب الزهد والرقائق باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام (3005).

136 أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت275هـ) سنن أبي داود تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دبت:

المكتبة العصرية، صيدا - بيروت - 1323هـ كتاب السنة، باب في لزوم السنة، 200/4، (4607) وأخرجه الترمذي وصححه (2870).

الزكاة. وتشويقه -صلى الله عليه وسلم- للصحابة الكرام -رضي الله عنهم أجمعين- لمعرفة مراد الله تعالى بقوله لهم هل تدرون ماذا قال ربكم. مع ذكره الآية التي تؤيد وتؤكد ما قاله صلى الله عليه وسلم ليوضح بهم معنى الآية، وليرقق القلوب ويهدي النفوس ويدفع المستمع إلى العمل لما عند الله تعالى لهُ تطبيق عملي لقوله تعالى (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ) [الذاريات 45]. بأسلوب وعظي، وكذلك ما درج عليه المفسرون في كتبهم من ذكر أحاديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في معرض بيانهم لمعاني الآيات من باب التفسير بالمأثور تشتمل هذه الأحاديث على الأمر والنهي والتشويق والإثارة وغيرها من خصائص الخطاب الوعظي، وكذلك فعل أهل الحديث في كتبهم وجعلوا لها عنوان كتاب التفسير كما فعل البخاري.¹³⁷

وغيره من أهل علم الحديث. وبهذا يطمئن البحث الي أن النبي صلى الله عليه وسلم -أول من قام بالتفسير الوعظي.

المطلب الرابع: التفسير الوعظي في زمن الصحابة

قال ابن تيمية: مبيناً أسباب الاعتماد على تفسير الصحابة: وحينئذ، إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اقتصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح.¹³⁸

ونذكر هنا بعضاً من نماذج تفسير الصحابة للقرآن الكريم تفسيراً وعظياً:

وقد كان للتفسير الوعظي دوراً كبيراً في التخفيف من حدة مصيبة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وضبط النفوس والقلوب المحبة للرسول الله صلى الله عليه وسلم وحملها على القبول بقضاء الله تعالى وقدره حيث أن أبا بكر الصديق ينادي في الناس مذكراً لهم بأن ما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو سنة الله في خلقه جميعاً حيث أنه لا خلود لأحد من البشر. وأن الخلود لله وحده وأن العبودية لا تكون إلا لله وحده. فلنستمع لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو يقص لنا هذا المشهد الرهيب وكيف كانت الأمة كلها كادت أن تخسر دينها وجهادها، ماضيها ومستقبلها لولا أن الله قيض لهذه الأمة أبا بكر الصديق. الذي أعلن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بالأسلوب الوعظي الرائع. يقول عبد الله بن عباس: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ حَرَجَ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ، فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَتَرَكَوا عُمَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَالَ اللَّهُ: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ

137 صحيح البخاري 16/6

138 ابن تيمية، مقدمة أصول التفسير، 40

قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ۖ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۖ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ { [آل عمران: 144] وقال: والله لَكَانَ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى تَلَاها أَبُو بَكْرٍ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوها فَأُخْبِرُنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ عُمَرَ قَالَ: وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاها فَعَوَّزْتُ، حَتَّى مَا تُقْلِنِي رَجُلًا، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلَاها، عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ. رواه البخاري.¹³⁹

إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه هياً الناس أولاً ثم ناد فيهم مستخدماً أسلوب الشرط ثم ذكر هو جواب الشرط، وكان أبابكر ينادي في الناس إن كان فيكم من يعبد محمداً فليعلم أنه قد خسر ماضيه كله ولو أصر على هذا سوف يخسر آخرته مستخدماً في هذا حرف التحقيق (قد) – فإن محمداً قد مات-ومن كان يعبد الله فهنيئاً له. لأن الله حي باق لا يموت. وهذا كله يعد من قبيل التفسير الوعظي للآية الكريمة.

روي عن عثمان بن عفان أن خطب الناس فقال: يا أيها الناس اتقوا الله في هذه السرائر؛ إني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: والذي نفسي بيده، ما عمل أحدٌ عملاً قط سراً إلا ألْبَسَهُ الله رداءه علانية؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ثم تلا هذه الآية: {وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ} [الأعراف: 140].

فإن عثمان بن عفان يعظ الناس وخاصة أولئك الذين يلبسون لباس الصلاح والبر أمام الناس وإذا خلوا بربهم جعلوه أهون الناظرين إليهم مستخدماً أسلوب النداء ثم الأمر لهم أن يتقوا الله في سرهم مبيناً لهم أن الله سوف يجعل عليهم بعض من الآثار الدالة على معصيتهم لله. ثم ذكر الآية الكريمة ليؤكد صحة ما يقول وأن قوله هذا مأخوذ من فهمه لهذه الآية.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإنه أهون لحسابكم، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية.¹⁴¹

وعمر رضي الله عنه هنا: إذ يعظ الناس مطالباً لهم بالاستعداد ليوم القيامة ومحاسبة النفس في الدنيا قبل يوم القيامة وهو يذكر الناس بقول الله تعالى {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ} [الحاقة: 18] على طريقة التضمين. ليؤكد للناس صحة موعظته وأنه أخذها أو فهمها من هذه الآية الكريمة، وهذا من قبيل التفسير الوعظي للآية الكريمة.

139 البخاري كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته (4454).

140 ابن أبي حاتم 458/5.

141 تفسير بن كثير 213/8.

عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قَامَ فِيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَوْعِظَةٍ فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى حُفَاةَ غُرَاةٍ غُرْلًا {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء: 104] أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَلَا وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرَجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ: يَارَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَخَذْتُوا بِعَدِّكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ) إِلَى قَوْلِهِ: (الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [المائدة: 117]، [118] فَيُقَالُ لِي: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ" وقد سبق شرحه.

وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ} قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ { [الزمر: 9] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُهَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْوُفُوفُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلْيَزِرْهُ اللَّهُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ، وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ. ¹⁴²

استخدم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أسلوب الشرط مبيناً أن من أراد أن النجاة يوم القيامة فليطبق هذه الآية تطبيقاً عملياً فيقف بين يدي الله تعالى في ظلام الليل يطيل القيام ويطيل السجود معلناً أنه يخاف يوم القيامة وما فيه من أهوال وأنه يرجو رحمة الله التي وسعت كل شيء. وهو من قبيل التفسير الوعظي للآية.

المطلب الخامس: التفسير الوعظي في زمن التابعين

إن التفسير الوعظي تميز به تلاميذ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أمثال الحسن البصري وقتادة السدوسي فقد اعتمدوا على الجانب الوعظي في التفسير وصاغوا عباراتهم التفسيرية في قوالب الحكمة والموعظة وسانوا كلامهم عن العبارات الجافة التي لا تؤثر في المخاطب، ولا تحرك ساكنه.

يقول الدكتور الخصري: وتعتبر مدرسة البصرة رائدة المدارس الوعظية التي جمعت بين العلم وصحة الحديث من جانب وبين الأساليب الراقية التي تؤثر في الوجدان وتهيج النفوس وتشوق الأرواح من جانب آخر، وهذا ما نجده في تفسير الحسن البصري كما هو الأمر في تفسير قتادة السدوسي. ¹⁴³

وكان مما تميز به الحسن البصري عن أقرانه الوعظ فقد قال الأوزاعي: ذهب عليهم الحسن بالمواعظ، وذهب عطاء بالمناسك. ¹⁴⁴

142 أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دت: دار الكتب المصرية - القاهرة، 1384هـ.

239/15.

143 الخصري، محمد بن عبد الله، تفسير التابعين-عرض ودراسة مقارنة، دت: دار الوطن للنشر، الرياض، 1999م، 566/1.

144 أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ) الغلل ومعرفة الرجال تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، دت: دار الخاني-الرياض.

1422هـ 472/1.

وقال الدكتور الخضيرى عن الحسن البصري: وقد سلك -رحمه الله- في تفسيره المسلك الوعظي التذكيري، فكلما سنحت له فرصة للوعظ، من خلال تفسير آية، وعظ وذكر، ولا يجد مجالاً من مجالات الدعوة، والنصح، والإرشاد، والأمر والنهي، إلا دعا، ووعظ، وأرشد، ونصح، وحذر.¹⁴⁵

ومن أمثلة التفسير الوعظي للحسن البصري:

قال تعالى: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} [الأنعام:44]

قال رضي الله عنه: من وسع عليه فلم ير أنه يُمكر به فلا رأي له، ومن قُتر عليه فلم ير أنه ينظر له فلا رأي له. ثم قرأ (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) وقال الحسن: مكر بالقوم ورب الكعبة أعطوا حاجتهم ثم أخذوا.¹⁴⁶

فقد استخدم-رضي الله عنه-في تفسيره لهذه الآية أسلوب التقابل: "من وسع عليه فلم ير أنه يُمكر به" مقابل "ومن قُتر عليه فلم ير أنه يُنظر له" ليبرز الاختلاف بين الحالتين (السعة والضيق) ويقوي المعنى، ثم التضمين "فلما نسوا ما ذُكِّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء..." يُضيف عمقاً للمعنى من خلال كلام الله، ثم أسلوب التحذير: "فلا رأي له" يدعو المستمع إلى الحذر والتفكير في العواقب، ثم أسلوب القسم: "مكر بالقوم رب الكعبة وعطوا حاجتهم ثم أخذوا" تأكيداً للمعنى، هذه الأساليب تعمل معاً لتوصيل رسالة قوية ومؤثرة تدعو للتأمل في النعم والابتلاءات وعواقب الغفلة عنها.

قال تعالى: {كَأَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَأَلَّا سَيَعْلَمُونَ} [النبا:4،5]

قال الحسن البصري-رضي الله عنه- "أيها الناس! لو توعدكم مخلوق بموت لما استقر بكم القرار، فكيف بوعد ملك الملوك، والحي الذي لا يموت؟".¹⁴⁷

استخدم-رضي الله عنه-أسلوب النداء في "أيها الناس": افتتح كلامه بنداء مباشر للفت انتباه السامعين وإشعارهم بأهمية ما سيُقال، ثم أسلوب الشرط في "لو توعدكم مخلوق بموت لما استقر بكم القرار": لتوضيح مقصده بطريقة منطقية فهو يُبرز أثر التهديد بالموت من مخلوق، فكيف إذا كان التهديد من الله، ثم أسلوب الاستفهام: في "فكيف بوعد ملك الملوك والحي الذي لا يموت؟": استفهام استنكاري يهدف إلى إظهار عظمة وعد الله وخطورة التهاون به، استخدم هذه الأساليب الثلاثة ليدفع السامع للتفكير والتدبر في عواقب الغفلة.

145 الخضيرى، تفسير التابعين - عرض ودراسة مقارنة، 209/1.

146 ابن أبي حاتم 291/4.

147 محمد عمر الحاجي، موسوعة التفسير قبل عهد التدوين، دت: دار المكنبي - دمشق - 2007م، 312.

أما نماذج التفسير الوعظي عند قتادة السدوسي-رحمه الله-فسوف يأتي الحديث عنها بالتفصيل في
مبحث خاص بها.



الفصل الثالث: نماذج من التفسير الوعظي لفتادة السدوسي





المبحث الأول: نماذج من أساليب التفسير الوعظي لقتادة السدوسي

المطلب الأول: الأسلوب الخبري

قال: تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ، يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} [البقرة: 8: 9]

قال: قتادة -رحمه الله - "نعت المنافق: خنع الأخلاق. يصدق بلسانه وينكر بقلبه ويخالف بعلمه ويصبح على حال ويمسى على غيره ويمسى على حال ويصبح على غيره. يتكفأ تكفأ السفينة كلما هبت ريح هب معها".¹⁴⁸

استخدم قتادة-رحمه الله-الأسلوب الخبري من أجل التوبيخ والتقريع لمن فيه صفة من هذه الصفات حيث صور المنافق بشكل واضح للجميع، أنه ضعيف المواقف متناقضاً مع نفسه فهو يفعل الشيء وعكسه وهذا الوصف التفصيلي الدقيق للمنافق يثير في نفس المستمع نفوراً من هذه الصفات والأخلاق السيئة.

المطلب الثاني: أسلوب الالتفات

قال تعالى: {ثُمَّ لَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ¹⁴⁹ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} [الأعراف: 17]

قال قتادة-رحمه الله- "أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من أمر الدنيا، فزينها لهم ودعاهم إليها، وعن أيمنهم من قبل حسناتهم بطأهم عنها، وعن شمائلهم، زين لهم السيئات والمعاصي، ودعاهم إليها، وأمرهم بها. أذاك يا بن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله".¹⁴⁹

استخدم قتادة-رحمه الله-الأسلوب الخبري من أجل تحذير الإنسان من الشيطان. فبين سعة وشمولية أساليب الشيطان في إغواء الناس وكيف يسعى الشيطان للتأثير بالسلب على تفكير الإنسان وثم يتحول قتادة-رحمه الله-من التحدث بأسلوب الغائب إلى إلى أسلوب الخطاب في جملة "أذاك يا بن آدم" ليشعر المستمع أن هذا التحذير موجه إلى المستمع بشكل خاص فيزداد وعي المستمع ويدرك حجم الخطر المحدق به ثم يجيب قتادة-رحمه الله-على سؤال مهم أن يصدر من كل من استنشر خطورة تنوع أساليب الشيطان في الغواية وكيف أن شيطان لن يتركه أبداً فكأنما قال المستمع: وما العمل يا إمام. فيخبره أن العمل هو زيادة الصلة بالله واللجوء إلى رحمته كملأ آمن وحصن قوي من كيد الشيطان.

148 ابن أبي حاتم 43/1 وابن كثير 74/1.

149 الطبري 339/12.

المطلب الثالث: أسلوب التكرار

قال تعالى: {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [الأعراف:70].

قال قتادة-رحمه الله-"الصدق في النية والصدق في العمل، والصدق في الليل والنهار، والصدق في السر والعلانية"¹⁵⁰.

استخدم قتادة-رحمه الله-أسلوب التكرار حيث كرر كلمة "الصدق" أربع مرات عند إخباره عن حقيقة الصدق ليصحح مفهوم المستمع عن الصدق أنه لا يكون إلا في الحديث مع الناس فقط ليعلم المستمع أن خلق الصدق ينبغي أن يكون ملازماً له في كل أحواله وكأنه يقول: للمستمع (الصدق منهج حياة).

المطلب الرابع: أسلوب الأمثال

قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيِّنْسَ مَا يَشْتَرُونَ} [آل عمران: 187]

قال قتادة-رحمه الله-"هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم، فمن علم شيئاً فليعلمه، وإياكم وكتمان العلم، فإن كتمان العلم هلكة، ولا يتكلمن رجل ما لا علم له به، فيخرج من دين الله فيكون من المتكلمين، كان يقال:"مثل علم لا يقال به، كمثل كنز لا ينفق منه! ومثل حكمة لا تخرج، كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب". وكان يقال:"طوبى لعالم ناطق، وطوبى لمستمع واع". "هذا رجل علم علماً فعلمه وبذله ودعا إليه، ورجل سمع خيراً فحفظه ووعاه وانتفع به"¹⁵¹.

استخدم قتادة-رحمه الله-أسلوب التشبيه:"مثل علم لا يقال به، كمثل كنز لا ينفق منه ... الخ". ليقرب فكرة أهمية نشر العلم والعمل به وأن كتمان العلم وعدم العمل به جريمة كبرى يتعدى أثرها الضار الفرد ويصل الى المجتمع إلى أذهان المستمعين فعندما لا يعمل بالعلم ولا يعلم الناس يصير مثل كنز مخبأ لا قيمة له، ثم قام بتأكيد هذا المعنى عند مدحه للعالم المعلم العامل بعلمه وكذلك يمدح المستمع الواعي لما سمع.

المطلب الخامس: أسلوب القصة

قال تعالى: {وَكُنْتُمْ لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مُوعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكُمُ بِأَحْسَنِهَا سَأَرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ} [الأعراف:145]

150 ابن أبي حاتم 511/5.

151 الطبري 461/7.

قال قتادة-رحمه الله-"قال: رب، إني أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فاجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون أي آخرون في الخلق السابقون في دخول الجنة، رب اجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرأونها، وكان من قبلهم يقرأون كتابهم نظرا، حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئا، ولم يعرفوه. قال قتادة: وإن الله أعطاكم أيتها الأمة من الحفظ شيئا لم يعطه أحدا من الأمم قال: رب اجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد قال: رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ويقاثلون فضول الضلالة، حتى يقاتلوا الأعور الكذاب، فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد! قال: رب إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم، ثم يؤجرون عليها وكان من قبلهم من الأمم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه، بعث الله عليها نارا فأكلتها، وإن ردت عليه تركت تأكلها الطير والسباع. قال: وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم قال: رب اجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة، رب اجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها، فإذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة، فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم المستجيبيون والمستجاب لهم، فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم المشفعون والمشفوع لهم، فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد! قال: وذكر لنا أن نبي الله موسى عليه السلام نبذ الألواح وقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد قال: فأعطي نبي الله موسى عليه السلام ثنتين لم يعطهما نبي، قال الله: (يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) [الأعراف:143]. قال: فرضي نبي الله. ثم أعطي الثانية: (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) [الأعراف:159]، قال: فرضي نبي الله صلى الله عليه وسلم كل الرضى".¹⁵²

استخدم قتادة-رحمه الله-أسلوب القصة في نقله للحوار الذي كان بين نبي الله موسى-عليه السلام- ورب العزة -جل وعلا-ليبرز عواطف سيدنا موسى-عليه السلام-ومشاعره المختلفة، وللتأكيد على فضل أمة رسولنا الكريم محمد-صلى الله عليه وسلم-.

ولا يخفى ما في القصة من أساليب بلاغية مثل الحوار بين الله تعالى وموسى-عليه السلام-والتنوع في ذكرت صفات الأمة المحمدية وتكرار سؤال موسى-عليه السلام-ربه -جل وعلا-صفات الأمة المختارة لأمته. ولا يخفى ما في هذه الأساليب البلاغية من قوة على إيصال المستمع إلى حالة من التأثير تجعله يقول: الحمد لله الذي جعلني من أمة محمد-صلى الله عليه وسلم-

المطلب السادس: أسلوب القصر والحصر

قال تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: 35].¹⁵³

قال قتادة-رحمه الله-"إنما يبعث الحكمان ليصلحا. فإن أعياهما أن يصلحا، شهدا على الظالم بظلمه، وليس بأيديهما فرقة، ولا يملكان ذلك."

استخدم قتادة-رحمه الله-أسلوب القصر والحصر "إنما يبعث ... الخ" هنا ليحدد مهمة الحكمان وأنها تنحصر في السعي للإصلاح وفي الشهادة على الظالم إن لم يتم الصلح، فالسعي للإصلاح لا يلزم عنه تحقيق الصلح بين المتخاصمين لأن هذا ليس بأيدي الحكمان، وهو بذلك يصحح مفهوما خاطئاً عند المستمعين الذين يظنون أن عدم تحقق الصلح مرجعه لعدم صلاح الحكمين وليس لأن أحد المتخاصمين ظالم ولذا أخبر بوجوب شهادة الحكمين على الظالم من الطرفين.

المطلب السابع: أسلوب الشرط

قال تعالى: {فَأَعْرِضْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [المائدة: 14]

قال قتادة-رحمه الله-"إن القوم لما تركوا كتاب الله، وعصوا رسله، وضيعوا فرائضه، وعطلوا حدوده، ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، بأعمالهم أعمال السوء، ولو أخذ القوم كتاب الله وأمره، ما افترقوا ولا تباغضوا".¹⁵⁴

استخدم قتادة-رحمه الله-أسلوب الشرط في "ولو أخذ القوم كتاب الله وأمره، ما افترقوا ولا تباغضوا". ليساعد المستمع على إدراك النتيجة المترتبة عن تخلي الناس عن تعاليم دينهم ورفضهم تطبيق حدود الله فيما بينهم، وهي العداوة والبغضاء، وهذا الإدراك جاء نتيجة افتراض عقلي منطقي هو: "ولو أخذ القوم كتاب الله وأمره، ما افترقوا ولا تباغضوا" واستخدم الشرط ليؤكد على أن القوم كانوا أحراراً في اختيارهم فلو اختار القوم الالتزام بمنهج الله ورسوله لما كانت العداوة والبغضاء بينهم. وكأنما يخاطب المستمعين لو أردتم السلامة من العداوة والبغضاء فلا تتركوا كتاب ربكم ولا تعصوا نبيكم-صلى الله عليه وسلم-ولا تضيعوا فرائض دينكم ولا تعطلوا حدود ربكم. وبهذا يكون وجه المستمعين إلى ما يريد بطريق غير مباشر.

153 الطبري 323/8.

154 الطبري 137/10.

المطلب الثامن: أسلوب الأمر

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۚ وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعَزُّوا فَلَا يَخَافُكُمْ إِلَٰهٌ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۚ وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعَزُّوا فَلَا يَخَافُكُمْ إِلَٰهٌ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۚ وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعَزُّوا فَلَا يَخَافُكُمْ إِلَٰهٌ ۚ}

اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [النساء: 135]

قال قتادة رحمه الله: " يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله " الآية، هذا في الشهادة. فأقم الشهادة، يا ابن آدم، ولو على نفسك، أو الوالدين، أو على ذوي قرابتك، أو شرف قومك. فإنما الشهادة لله وليست للناس، وإن الله رضي العدل لنفسه، والإقسط والعدل ميزانُ الله في الأرض، به يردُّ الله من الشدید على الضعیف، ومن الكاذب على الصادق، ومن المبطل على المحق. وبالعدل يصدق الصادق، ويكذب الكاذب، ويردُّ المعتدي ويرتخه تعالى ربنا وتبارك. وبالعدل يصلح الناس، يا ابن آدم. إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما "، يقول: أولى بغنيكم وفقيركم. قال: وذكر لنا أن نبيَّ الله موسى عليه السلام قال: " يا رب، أي شيء وضعت في الأرض أقل؟"، قال: " العدل أقل ما وضعت في الأرض ". فلا يمنعك غنى غني ولا فقر فقير أن تشهد عليه بما تعلم، فإن ذلك عليك من الحق، وقال جل ثناؤه: (إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا)".¹⁵⁵

استخدم قتادة-رحمه الله-أسلوب الأمر بغرض التوجيه والإرشاد الى التزام الحق والعدل والتأكيد على أهمية أن يشهد الإنسان بالحق ولا يقع تحت تأثير القرابة والهوى. فكم من حقوق ضاعت بسبب شهادة زور كانت نتيجة اتباع الهوى والقرابة.

المطلب التاسع: أسلوب النهي

قال تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة: 188]

قال قتادة-رحمه الله-"لَا تُدْلُ بِمَالِ أَخِيكَ إِلَى الْحَاكِمِ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ ظَالِمٌ، فَإِنَّ قَضَاءَهُ لَا يُجِلُّ لَكَ شَيْئًا كَانَ حَرَامًا عَلَيْكَ".¹⁵⁶

استخدم قتادة-رحمه الله-أسلوب النهي محذراً تحذيراً واضحاً للمخاطب من محاولة استغلال القضاء للحصول على ما ليس حقاً له، وهذا ترسيخ لخلق العدل وحث للمستمع على الابتعاد عن الظلم والتحايل، وأن الأخلاق والدين أعلى من أي حكم بشري، وهذا صلاح كبير للبشرية.

155 الطبري 305/9.

156 عبد الرزاق بن همام، تفسير عبد الرزاق، 312/1، (192) والطبري 551/3.

المطلب العاشر: أسلوب الاستفهام

قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} [آل عمران:100]

قال قتادة: "قد تقدّم الله إليكم فيهم كما تسمعون، وحدركم وأنباكم بضلالتهم، فلا تأتمنوههم على دينكم، ولا تنتصحوهم على أنفسكم، فإنهم الأعداء الحسدّة الضّلال. كيف تأتمنون قوماً كفروا بكتابهم، وقتلوا رسلهم، وتحيروا في دينهم، وعجزوا عن أنفسهم؟ أولئك والله هم أهل التّهمة والعداوة".¹⁵⁷

استخدم قتادة-رحمه الله-أسلوب الاستفهام "كيف تأتمنون قوماً كفروا بكتابهم، وقتلوا رسلهم، وتحيروا في دينهم، وعجزوا عن أنفسهم؟ أولئك والله هم أهل التّهمة والعداوة". للتأكيد على استغرابه واستنكاره واستحالة الثقة بمثل هؤلاء الذين فعلوا كل هذه الأفعال السيئة فهو لا يسأل من أجل الاستفسار إنما يسأل من أجل الاستنكار والتنبيه على خطورة والوثوق بهؤلاء القوم والتنبيه على ضعف عقول من بثق بهم.

المطلب الحادي عشر: أسلوب التمني

قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء:40]

قال قتادة-رحمه الله- "لأن تفضل حسناتي سيئاتي بمِثْقَالِ ذَرَّةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا".¹⁵⁸

استخدم قتادة-رحمه الله-أسلوب التمني للتعبير عن رغبته القوية في أن تكون حسناته أكثر من سيئاته، وتعبيراً أيضاً عن خوفه من الحساب وحرصه الكبير على النجاة منه، وفي هذا تحفيز للسماع على ألا يغتر بحسناته وأن يتواضع أمام ربه.

المطلب الثاني عشر: أسلوب النداء

قال تعالى: {مِن أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ} [المائدة:32]

157 الطبري 60/6

158 عبد الرزاق بن همام تفسير عبد الرزاق 456/1.

قال قتادة -رحمه الله - "من قتلها على غير نفس ولا فسادٍ أفسدته فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحيّاها فكأنما أحيّا الناس جميعاً عَظُمَ والله أجْرُها، وعَظُمَ وزرّها فأحيّاها يا ابن آدم بمالك، وأحيّاها بعفوك إن استطعت، ولا قوة إلا بالله. وإنا لا نعلمه يحل دم رجل مسلمٍ من أهل هذه القبلة إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، فعليه القتل أو زنى بعد إحصانه، فعليه الرجم أو قتل متعمداً، فعليه القود". وقرأ قتادة -رحمه الله-: "من قتل نفساً بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحيّاها فكأنما أحيّى الناس جميعاً" ثم قال: عظم والله أجْرُها، وعظم والله وزْرُها.¹⁵⁹

استخدم قتادة -رحمه الله- أسلوب النداء في قوله "يا ابن آدم" للفت انتباه المستمع وتحفيزاً له للإصغاء الجيد بغرض التوجيه والنصح والتشجيع على التسامح.

المطلب الثالث عشر: أسلوب التعجب

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا} [الأحزاب: 57]

قال قتادة -رحمه الله- قال: يا سبحان الله ما زال أناس من جهلة بني آدم حتى تعاطوا أذى ربهم، وأما أذاهم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو طعنهم عليه في نكاحه صفية بنت حيي فيما ذكر.¹⁶⁰

استخدم قتادة -رحمه الله- أسلوب التعجب للتعبير عن استنكاره ودهشته من سلوك بعض الناس وجهلهم بجرأتهم على إيذاء الله -تعالى- وإيذاء رسوله -صلى الله عليه وسلم- والطعن في أفعالهم، تأكيداً على جهلهم وسوء فهم.

المطلب الرابع عشر: أسلوب المدح

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة: 172]

قال قتادة -رحمه الله-: "كرامة أكرمكم الله بها فاشكروا لله نعمته".¹⁶¹

استخدم قتادة -رحمه الله- أسلوب المدح ليظهر فضل الله على عباده المؤمنين بأن أحل لهم أكل الطيب من الرزق حتى يشجعهم على شكر هذه النعمة العظيمة.

159 الطبري 23/10.

160 الطبري 322/20.

161 ابن أبي حاتم، 282/1.

المطلب الخامس عشر: أسلوب الذم

قال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [الأنعام: 10]

قال قتادة-رحمه الله:- "بئس والله ما كان عاقبة المكذبين، دمر الله عليهم وأهلكهم ثم صيرهم إلى النار".¹⁶²

استخدم قتادة-رحمه الله-أسلوب الذم في بقوله "بئس والله ما كان عاقبة المكذبين" ليعبر عن قبح عاقبة المكذبين بالله-تعالى-ورسله-عليهم الصلاة والسلام-ثم يذكر سبب ذمه لهذه العاقبة مصوراً كمّ السوء في هذه العاقبة حيث دمر الله عليهم: أي أفسد عليهم كل شيء ثم بعد ذلك أهلكهم ثم في الآخرة المصير إلى النار فلا هم أفلحوا في الدنيا ولا في الآخرة. وهو بهذا يدعوا المستمعين لأن يتخيلوا ماذا سيحدث لهم لو كذبوا بالله-تعالى-ورسله-عليهم الصلاة والسلام وكأنما هو ينهاهم عن التكذيب ولكن بصورة غير مباشرة.

المطلب السادس عشر: أسلوب القسم

قال تعالى: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [آل عمران: 185]

قال قتادة-رحمه الله:- "وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور: هي متاع متروك أوشكت والله الذي لا إله إلا هو أن تضمحل عن أهلها فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم ولا قوة إلا بالله".¹⁶³

استخدم قتادة-رحمه الله-أسلوب القسم بقوله "والله الذي لا إله إلا هو" ليعطي القوة في كلامه ويلفت انتباه المستمع إلى جدية أمر زوال الدنيا، وليؤكد أنها سريعة الزوال حيث "أوشكت" وفعل أوشك من أفعال المقاربة، فهو بقسمه هذا يحث المستمع على قضاء ما بقي من عمره الذي أوشك على الانتهاء في طاعة الله والبعد عن معصيته، وعدم الغرور بمتاعها الزائل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

قال تعالى: {وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بِغَضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأنعام: 129].

قال قتادة-رحمه الله:- "إنما يوالي الله بين الناس بأعمالهم، فالمؤمن ولي المؤمن أينما كان، وليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولعمري لو عملت بطاعة الله ولم تعرف أهل طاعة الله ما ضرك ذلك، ولو عملت بمعصية الله وتوليت أهل طاعة الله ما نفعك ذلك شيئاً".¹⁶⁴

162 ابن أبي حاتم، 268/4.

163 ابن أبي حاتم، 833/3.

177 المصدر السابق، 389/4.

استخدم قتادة-رحمه الله-أسلوب القسم بقوله "ولعمري" ليدفع عن المستمع وهم أن معرفة الصالحين ومجالستهم تغني عن العمل بطاعة الله. وليؤكد أن كل من يعملون بطاعة الله هم أولاء بعض وإن لم يعرفوا بعضهم البعض.

المطلب السابع عشر: الجمع بين الإيجاز والإطناب في تفسير آية واحدة

قال تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 188]

قال قتادة-رحمه الله-"لَا تُدْلِ بِمَالِ أَخِيكَ إِلَى الْحَاكِمِ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ ظَالِمٌ، فَإِنَّ قَضَاءَهُ لَا يُجِلُّ لَكَ شَيْئًا كَانَ حَرَامًا عَلَيْكَ".¹⁶⁵

وقال في رواية أخرى: وكان يقال: من مشى مع خصمه وهو له ظالم، فهو آثم حتى يرجع إلى الحق. واعلم يا ابن آدم أن قضاء القاضي لا يحل لك حراماً ولا يحق لك باطلاً وإنما يقضي القاضي بنحو ما يرى ويشهد به الشهود، والقاضي بشر يخطئ ويصيب. واعلموا أنه من قد قضي له بالباطل، فإن خصومته لم تنقض حتى يجمع الله بينهما يوم القيامة، فيقضي على المبطل للمحق، بأجود مما قضي به للمبطل على المحق في الدنيا.¹⁶⁶

فالرواية الأولى: كانت موجزة أشد الإيجاز بالرغم أن قتادة-رحمه الله-استخدم فيها أكثر من أسلوب بلاغي مثل النهي في قوله "لا تدل بمال أخيك إلى الحاكم" ثم أسلوب التأكيد بإسمية الجملة في قوله "وأنت تعلم أنك ظالم" ثم أسلوب الاستدراك في قوله "فإن قضاء الله لا يحل لك شيئاً كان حراماً" ثم أسلوب التعميم في قوله "شيئاً كان حراماً" كل هذه الأساليب تعمل تحفيز المستمع على التفكير في عواقب الظلم ولو بوسيلة شرعية فيمتنع عن التحايل من أجل أخذ ما ليس له وهو يعلم.

وفي الرواية الثانية يوجد شيء من الإطناب وتنوع أيضاً في الأساليب كاستخدامه-رحمه الله-أسلوب الحكاية بالقول المأثور "كان يقال..." باعتباره مثلاً أو حكمة ثم استخدم أسلوب التكرار في "واعلم، واعلموا" ثم أسلوب التوكيد في "إن قضاء القاضي لا يحل لك حراماً ولا يحق لك باطلاً" ثم أسلوب المقابلة بين "يخطئ ويصيب" و"المبطل والمحق" ثم الاستدراك في قوله "فإن خصومته لم تنقض حتى يجمع الله بينهما يوم القيامة" ثم أسلوب التعميم في قوله "من قضي له بالباطل" ثم أسلوب التمثيل لمشهد المحاكمة يوم القيامة في قوله "فيقضى على المبطل للمحق" ثم أسلوب المبالغة في قوله "بأجود مما قضي به للمبطل

165 عبد الرزاق 312/1، والطبري 551/3.

166 الطبري، 550/3.

على المحق في الدنيا" وكل هذا الإطناب وهذه الأساليب التي في الرواية الثانية لتحقيق نفس غرض الرواية الأولى والله أعلم.

المطلب الثامن عشر: التنوع في استعمال أساليب الخطاب في النص التفسيري

كما هو واضح في الروايتين الأخيرتين

وبالجملة لا نكاد نرى نصاً تفسيرياً وعظياً واحداً يعتمد على أسلوب خطابي واحد وهذا مما يميز التفسير الوعظي عن غيره من التفاسير الأخرى لأنه يحافظ على دوام العلاقة بين المفسر والمتلقي.



الخاتمة

وفي ختام البحث تبين أن منهج التفسير الوعظي للقرآن الكريم يحمل أهمية كبيرة في تقريب معاني القرآن الكريم للناس كافة حيث يجمع بين بيان معان القرآن الكريم ودعوة الناس إلى العمل به بأسلوب بسيط مؤثر، وقد أظهر البحث أنه منهج رباني في الشرح والتوضيح للقرآن الكريم وسنة متبعة عن النبي- صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين- والتابعين -رضوان الله عليهم وعلى من تبعهم إحسان إلى يوم الدين، وهو موجود متفرق في كتب التفسير القديمة، وتبين أن جمهور المسلمين في حاجة شديدة إليه لما يتميز به التفسير الوعظي من سهولة العبارة والأسلوب، والاهتمام بمقاصد القرآن الكريم، وبيان الحكمة من التشريعات، وإبراز جوانب الإعجاز القرآني، وربط التفسير بالواقع المعاصر حيث يسهم في تعزيز القيم الأخلاقية والاجتماعية،

وقد ذكر البحث تعريفا للتفسير الوعظي، وذكر ضوابطه وأساليبه حتى نستطيع تمييزه عن المناهج الأخرى.

كما ذكر البحث نمودجا عمليا من سلف الأمة قام بالتفسير الوعظي هو الإمام (قتادة السدوسي) - رحمه الله تعالى- وقام البحث بالشرح والتحليل لأقواله التفسيرية الوعظية لضمان أنها ينطبق عليها شروط وضوابط التفسير الوعظي وبهذا يكون البحث قد أثبت من جديد أن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد.



المصادر والمراجع

ابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم (ت327هـ) تفسير القرآن العظيم تحقيق: أسعد محمد الطيب مكتبة نزار مصطفى الباز -المملكة العربية السعودية. طبعة: 1419.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984م.

ابن عثيمين، محمد بن صالح، (ت 1421هـ) أصول في التفسير، المكتبة الإسلامية، 1422هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت 711 هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، 1414هـ.

أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي (ت 261هـ) تاريخ الثقات تحقيق الدكتور عبد المعطى قلنجي-دار الباز-1984م.

أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت450هـ)، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، 1986م.

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر-دمشق-1979م.

أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري الجامع الصحيح (صحيح مسلم) تحقق: محمد ذهني أفندي -إسماعيل بن عبد الحميد الحافظ الطرابلسي-وآخرون دار الطباعة العامة - تركيا 1334 هـ.

أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت ١٣٠٧هـ) أبجد العلوم، دار ابن حزم 1423هـ.

أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (681هـ) وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، -بيروت-1900م.

أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1420هـ.

أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت774هـ) البداية والنهاية، السعادة - القاهرة.

أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ) المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق - 1412هـ.

أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ) أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، - بيروت - 1419هـ.

أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت 418 هـ) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة - السعودية - 2003م.

أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت 211هـ) تفسير عبد الرزاق، تحقيق: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت - 1419هـ.

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 2001م.

أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت 275هـ) سنن أبي داود تحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت - 1323هـ.

أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ) تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي (ت 290هـ) كتاب السنة تحقق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني دار ابن القيم - الدمام - 1986 م.

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ) العلل ومعرفة الرجال تحقيق: وصي الله بن محمد عباس دار الخاني-الرياض-1422هـ.

أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (ت 794هـ) النكت على مقدمة ابن الصلاح تحقيق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج أضواء السلف - الرياض ط: 1998 م.

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، الجامع الصحيح، دار ابن كثير، دار اليمامة - دمشق - 1414هـ.

أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية كتاب العلم، (344) - بيروت - 1411هـ.

أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، 1384هـ.

أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب ط 1387هـ.

أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ) **المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز** تحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت-1422هـ.

أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت 327هـ) **الجرح والتعديل** دار إحياء التراث العربي – بيروت طبعة: 1952 م.

أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت 430 هـ) **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، السعادة – القاهرة-1394هـ.

أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت 277 هـ) **المعرفة والتاريخ** تحقيق أكرم ضياء العمري مطبعة الإرشاد – بغداد-1974م.

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) **هدي الساري مقدمة فتح الباري** تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب-دار المعرفة-بيروت:- 1379هـ.

أحمد بن يحيى المرتضى (ت 840هـ) **المنية والأمل في شرح الملل والنحل** دار الندى، 1410هـ. أحمد حسن الزيات وآخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1972م.

تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت 771هـ) **طبقات الشافعية الكبرى** تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ.

تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت 728هـ) **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية** تحقيق: محمد رشاد سالم -جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية طبعة: 1986 م.

تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت 728هـ)، **مقدمة في أصول التفسير** دار مكتبة الحياة-بيروت-1400هـ.

الجرجاني، علي بن محمد (ت 816هـ)، **التعريفات**، دار الكتب العلمية بيروت – 1403هـ.

جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار الفكر – بيروت-ط: 1432هـ.

الخضيرى، محمد بن عبد الله، تفسير التابعين-عرض ودراسة مقارنة، -دار الوطن للنشر، الرياض، 1999م.

الزر قاني، محمد عبد العظيم ت (1367 هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794 هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية -1376هـ.

زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلمي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت 795هـ) شرح علل الترمذي تحقيق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد-مكتبة المنار -الزرقاء –الأردن، 1987م.

سيد قطب (ت1385هـ) في ظلال القرآن، دار الشروق-القاهرة-1412هـ.

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ) سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، -بيروت-1405.

شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، كتاب القصاص والمذكرين تحقيق: محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي – بيروت – 1409هـ.

شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (ت1438هـ) تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، (ت:1425) الرسالة – بيروت-1996.

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية (ت 728هـ) مجموع الفتاوى جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله وساعده: ابنه محمد وفقه الله-الأوقاف السعودية 2004 م.

صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلي بن عبد الله الدمشقي العلاني (ت 761هـ) جامع التحصيل في أحكام المراسيل تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي-عالم الكتب – بيروت-1986م.

الطيّار، مساعد بن سليمان، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار بن الجوزي، 1422هـ.

عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري [المشهور بأبي زرعة الدمشقي الملقب بشيخ الشباب] (ت 281 هـ) تاريخ أبو زرعة الدمشقي، دراسة وتحقيق: شكر الله بن نعمة الله القوجاني أصل تحقيق: رسالة ماجستير بكلية الآداب بجامعة بغداد، 1973م، مجمع اللغة العربية – دمشق.

- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة-بيروت-1420هـ.
- عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1411هـ.
- عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة-القاهرة-2012م.
- عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت 465هـ) لطائف الإشارات، الهيئة المصرية العامة للكتاب-مصر-2000م.
- عبد الله بن رفود السفيناني؛ الخطاب الوعظي مراجعة نقدية لأساليب الخطاب ومضامينه (دراسة استطلاعية)، مركز نماء للبحوث والدراسات؛ 2014م.
- عثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت 643 هـ) مقدمة ابن الصلاح معرفة أنواع علوم الحديث تحقيق: نور الدين عتر. دار الفكر المعاصر – بيروت:- 1986م.
- على محمد محمد الصلابي، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار دار الروضة للطباعة والنشر والتوزيع ط 2017 م.
- علي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي (ت 230هـ) مسند ابن الجعد تحقيق: عامر أحمد حيدر مؤسسة نادر – بيروت، 1990م.
- فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، جامعة الشارقة، الإمارات، عام1423هـ.
- فضل حسن عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن، دار النفائس-عمان-2021م.
- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت1393هـ) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع -بيروت – 1415هـ.
- محمد السيد حسين الذهبي (ت 1398هـ) التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة –القاهرة-2005.
- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت752هـ) التبيان في أقسام القرآن، تحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة-بيروت.
- محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت 354 هـ) كتاب الثقات، دائرة المعارف العثمانية -بحيدر آباد الدكن الهند:- 1973م.

- محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، **الطبقات الكبرى** تحقيق: محمد عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت طبعة: 1990م
- محمد عمر الحاجي، **موسوعة التفسير قبل عهد التدوين**، دار المكتبي - دمشق - 2007م.
- محمد لطفي الصباغ، **لمحات في علوم التفسير**، المكتب الإسلامي-بيروت-1990م.
- محمد مرتضى الزبيدي، **تاج العروس في جواهر القاموس**، تحقيق: جماعة من المختصين، المجلس الوطني للثقافة والفنون - الكويت-1422هـ.
- مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر، -القاهرة - 2007م.
- مصطفى ديب البغا محيي الدين ديب مستو، **الواضح في علوم القرآن**، دار الكلم الطيب / دار العلوم الإنسانية -دمشق -1418هـ.
- مصطفى مسلم، **مباحث في التفسير الموضوعي**، دار القلم-دمشق-2000م.
- الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق: علي محمد البجاوي دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان-: 1963 م.

السيرة الذاتية

أحمد إبراهيم-

أكمل تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي في محافظة سوهاج. تخرج من جامعة الأزهر، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بمحافظة أسيوط عام 1996م، جمهورية مصر العربية التحق بقسم الدراسات العليا بجامعة يالوفا بجمهورية تركيا في عام 2022.

المنشورات والأعمال المستمدة من الأطروحة

الاسم: أحمد إبراهيم.

عنوان المقالة: قتادة السدوسي المفسر بين الإنصاف والافتراء.

اسم المجلة: مجلة ریحان للنشر العلمي، مجلد 49، في 28 - 7 - 2024م

منشورات وأعمال أخرى

يجب كتابة المنشورات والأعمال التي سيتم كتابتها في هذا القسم وفقا لتنسيق الاقتباس المستخدم في الأطروحة.

ÖZGEÇMİŞ

Ahmed İbrahim

. İlkokul, ortaokul ve lise eğitimini Sühac ilinde tamamladı. 1996 yılında Ezher Üniversitesi, Mısır cumhuriyetinde Asyut ilindeki Usulüddin ve İslami Davet Fakültesinden mezun oldu. 2022 yılında Türkiye'nin Yalova Üniversitesi'nde lisansüstü eğitimine başladı.

TEZDEN TÜRETİLEN YAYIN VE ESERLER

Ahmed İbrahim, “İnsaf ve İftiralar Arasında Bir Müfessir: Katâde es-Sedûsî”, *Rihan Bilimsel Yayıncılık Dergisi* (49), Temmuz 2024.



**T.C.
YALOVA ÜNİVERSİTESİ
LİSANSÜSTÜ EĞİTİM ENSTİTÜSÜ**

**TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ BİLİM DALI**

KATÂDE ES-SEDÛSÎ'NİN VAAZ TEFSİRİ YÖNTEMİ VE ÖRNEKLERİ

YÜKSEK LİSANS TEZİ

AHMED İBRAHİM

DANIŞMAN: PROF.DR. AVNULLAH ENES ATEŞ

**YALOVA
ARALIK 2024**